روايات ديانا

ديانا
DIANA

الكذبة البيضاء



دار اليوسف
بيروت - لبنان

الكذبة البيضاء

جيسيكا ستيل

تستطيع جانيس أن تقدر الصداع الذي قد تسببه بنتها صوفي التي لا تقمع الى خالها تورب كنغمان ـ لكن لماذا يجب على تورب أن يزعم أن جانيس نفسها قد طليت بالقطران بنفس الفرشاة؟ لقد صممت أن تدير ظهرها لتورب لارتياباته القذرة.. حتى قلب الطاولات عليها، فوجدت نفسها مبتزة بالزعم أنها كانت «مخطوبة له! لكن لماذا؟ لأنه لا يدعي الاكتراث بأي شيء لأجلها اكثر مما تكترث هي لأجله ـ وعلى أي حال، لقد كان مخطوباً الى ايلين فوربس من قبل! ماالذي يسعى اليه؟.

الفصل الأول

إن الشيء الأهم الذي كان في ذهن جانسيس لانغفيلد بعد ظهر ذلك السبت هو اذا كانت تريد الذهاب الى الحفلة التي دعيت اليها تلك الليلة أم لا. ويليام، شقيقها، قد غادر الشقة التي يشاركها فيها فقط لينظم الى بعثة للآثار في شمال اليونا، وقد افتقدته، لأنه كان شاباً هادئاً.

اكبر منها بسنة، كان دائماً هكذا، هي تأملت. تكشيرة الذكرى عبرت وجهها عندما أدركت الأشياء الرعناء التي قام بها أربعتهم في الأيام القديمة. صوفي، الاصغر في المجموعة، كانت دائماً رئيسة العصابة. من المدهش الآن التفكير بالأذية التي فكرت الحاقها بهم، لأنهم كانوا يتبعونها كالأغنام.

هي بقيت على اتصال مع صوفي، مع أنها لم تشاهدها لعدة أشهر. صوفي لم تتغير بتاتاً وفكرت جانسيس مما أن صديقتها المؤذية هي الآن في الحادية والعشرين، فهناك احتمال ضئيل بأن تراها. وعن دافي،

الرابع في اربعتهم، فهي لم تشاهده لأكثر من سنة الآن. ليس منذ ذلك اليوم الذي جاء فيه الى الشقة مع منصته كفنان وحقيبة المسافر على كتفه، متوسلاً سريراً لينام ليلة، ثم مع ارتياح الاصدقاء القدماء غادر في اليوم التالي مع العبارة العادية، «سأراك!»

انجرف عقل جانسيس الى الحفلة التي دعيت اليها. هل يتوجب عليها أن تذهب؟ إنها ستأخذ النجفاء بعيداً بمعرفة أنه قد تكون أشهر أو سنوات، اعتماداً على مدة الحفر، قبل أن تشاهد شقيقها ثانية. لقد رحل من قبل، بالطبع، كان بحاجة الى اكتساب الخبرة قبل أن يأخذوه بعين الاعتبار لهذه البعثة. وكما كان، هو كان من الرأي بما أنه كان الاصغر سناً فان دوره سيكون المسؤول عن اعداد الشاي. لكن هذه المرة كان لديها شعور أنه مع قدمه ثابتة على الدرجة الاولى لسلم علم الآثار، فان أوقات عودته الى الشقة في لندن ستكون قليلة ومتباعدة.

مع ذلك، هل هي تريد الذهاب الى حفلة بريمروز زولمان؟ الحفلتان أو الثلاث الاخيرة التي حضرتها لم تكن بالضبط مملة، لكن عندما وصلت الى البيت من الحفلة الاخيرة كان ويليام لا يزال مستيقظاً وقد دهش ليراها، متعجباً، «لقد عدت الى البيت باكراً!» كان الفجر قد طلع عليها عندما ملاحظته مرت بذهنها في الصباح التالي لدرجة أنها في احدى المرات تستمتع باللف والدوران، والآن تغيرت من الاخيرة التي تغادر الى الاولى.

ربما أصبحت كبيرة، هي فكرت، ودخلت الى المطبخ لتعد لنفسها شيئاً تأكله. كان عيد ميلادها بالأمس. الثالث والعشرون ولم تقبل. وتلك كانت كذبة، هي فكرت بدون دعابة، وتذكرت تلك الساعات المزاجية مع شو. حولت أفكارها بسرعة بعيداً عن شو. ذلك ما زال يؤلم.

ربما هي تفوقت في الكبر للذهاب الى هذا النوع من الحفلة التي استمتعت بها دائماً؟ انجرف عقلها فوق الاشخاص الذين يحتمل أن يكونوا هناك الليلة. وعندئذ، بكل بساطة، اتخذت قرارها. كانت بريمروز ملزمة بدعوة ادريان هوارد، وحيث أنها كانت واثقة بأنه سيسأل، فقد قيل بأنها دعيت أيضاً.

كان ادريان قد أصبح كثيراً جداً، قررت جانسيس: لقد عرفت أنه كان يحبها، وتذكرت ألمها على شو فحاولت أن تدعه بلطف. لكنه كان لحوحاً جداً، كان ادريان. «سأجعلك تحبينني» كان قد أعلن، بدون أن تكون لديه فكرة أن قلبها كان ميتاً.

انحرفت بسرعة عن فكرة الطعام، وذهبت لتقف عند باب غرفة ويليام. متقنة ومرتبة، وكل شيء في مكانه. حتى أنه أعد سريره، هي رأت. دخلت الى غرفته، وسحبت الغطاء العلوي تنوي نزعه، عندما رن جرس الهاتف في غرفة الجلوس.

بدون تسرع تركت الغطاء يسقط من يديها وعادت الى غرفة الجلوس، عقلها يسرح فوق عدة أشخاص من يمكن أن يتصل.

«جانسي؟» استعلم صوت لم تكن هناك مشكلة في التعرف عليه. صوفي! كانت واحدة من القليلات جداً اللواتي يختصرن اسمها بتلك الطريقة.

«هاللو، يا صوفي» قالت جانسيس، صوتها مرحباً، الحياة لم تكن خاملة عندما كانت صوفي قريبة. «لقد انتهيت لتوي من التفكير بك وها أنت هنا. كيف...»

«انني أتصل لأقول العديد من السعادة لأجل الامس. آسفة لقد تأخرت قليلاً» تمتمت صوفي. «كان يجب أن أتصل بك بالامس، لكن كانت لدي مشكلة صغيرة مع الابوين».

صوفي النموذجية، فكرت جانيس، وشعرت بالتحسن. الآباء الآخرون لديهم مشكلة مع اطفالهم، لكن صوفي يجب أن تكون مختلفة.

«ما الذي تسعين اليه الآن؟» هي استجوبت، وعرفت بدون شك أن «مشكلة الابوين» بالنسبة لصوفي تعني أنها التقطت في عمل شرير من نوع ما. «أفلا يجب أن أسأل؟»

«لا شيء»، بأمانة». أخرجت صوفي عبارتها المخزونة لدرجة أن شفتي جانيس التوتا. «لقد كنت صالحة مؤخراً فقط أنت لن تصدقي». هي لم تصدق ذلك، لكنها لم تقل هكذا. «فعلاً»، قالت صوفي ببطء بعد لحظة، «إنني ضجرة قليلاً في الوقت الحاضر، وكنت أتجاوز طاولة القاعة ورأيت هدية عيد ميلادك راقدة هناك...» توقفت لتدخل تكذاً، «الا تعتقدين أن شخصاً ما سيراها راقدة هناك ويخطفها ويرسلها لي بالبريد؟ مع ذلك،» هي تابعت باشراق، «رؤيتها هناك ذكرتني بأنني لم أتصل بك وفكرت أنني سأسلمها شخصياً».

صوفي ضجرة تعني مشكلة. «انني أحب رؤيتك»، قالت جانيس، محبتها لصديقتها غلبت أي تأنيب ضمير قد يكون لديها حول نفوذ صوفي المتصدع. عندئذ هي شرحت عن ذهاب ويليام ذلك الصباح، وكان ذلك هو كل ما تحتاجه صوفي لكي تدعو نفسها في الحال للبقاء عندها.

«انني أستطيع أن آخذ غرفته، اذن. سوف لن أسبب أية مشكلة، بأمانة»، وفي حال كانت صديقتها بحاجة الى رشوة، «أستطيع أن أطبخ»، صرخت بفخر.

ضحكت جانيس عالياً. فكرة صوفي للطبخ كانت اكثر احتمالاً هي السباغيتي المعلب على التوست. «أعتقد أنني سأتمكن من الطبخ لكلينا» اخبرتها، وكانت قد دبرت المنزل لها ولويليام طوال السنوات الخمس الماضية. «متى ستأتين؟»

«سوف أبدأ الآن» قالت صوفي في الحال، واعطت جانيس الانطباع الأكيد بأنها حزمت حقيبتها لنهاية الاسبوع. «أية حياة ستكون هناك في هذه اللحظة؟» فكرت بأن تسأل، وعرفت أن صوفي لن تكون قانعة بالبقاء تلك الليلة، وجدت جانيس نفسها تخبرها:

«حسناً، هناك هذه الحفلة الليلة، لكن...».

«عظيم» أجابت صوفي، التي لا مانع لديها من الذهاب الى حيث لم تتم دعوتها. «انا في طريقي!»

وضعت جانيس السماعة، وأحضرت شراشف جديدة، ثم عادت الى غرفة ويليام لاعداد السرير، وفكرت أن صوفي ستستغرق وقتاً طويلاً للوصول الى هنا من بكنغهامشاير في سيارتها السبور الصغيرة.

لقد أعد السرير، واحضرت بعض ادوات الزينة من غرفتها الخاصة لتنعيم آثار البساطة التي يفضلها ويليام، ثم أخذت احدى مزهريات الزهور من غرفة الجلوس وضعتها على صندوق في غرفة النوم التي ستستعملها صوفي. بعد ذلك ذهبت الى المطبخ، واعدت طبقين من السلطة. صوفي لديها قوام نحيل مثلها، لكنها في المرة الاخيرة التي رأتها فيها أخبرتها أنها تتبع حمية. كان هناك وقت، عندئذ، لكي تأخذ أنفاس استرخاء عميقة التي عرفت أنها كانت آخر ما تستطيع القيام به حتى تنتهي نهاية الاسبوع وتلوح لها صوفي بيديها مودعة. بعد نصف ساعة رنين جرس الباب أعلن لها وصول صديقتها. كانت الابتسامة على وجه جانيس دافئة وحقيقية عندما ذهبت لادخالها.

«صوفي!» أشرقت عندما رأت الشقراء النحيلة تقف هناك. «ادخلي»، رحبت بها، وفتحت الباب على مصراعيه.

غطست ابتسامتها نوعاً ما عندما نظرت نحو قدمي صوفي، تنوي رفع حقيبتها. لأنه بدلاً من حقيبة نهاية الاسبوع الصغيرة التي توقعتها، كانت

هناك حقيبتي سفر كبيرتين جداً عند قدمي صوفي، بالاضافة الى حقيبة نهاية الاسبوع وصندوق ادوات الزينة.

«انني لم استطع أن أقرر ماذا سأرتدي»، قالت صوفي، عيناها الزرقاوان حدقتا ببراءة الى عيني صديقتها الخضراوين الصافيتين.

«اذن لقد أحضرت الكثير».

كشرت صوفي كجواب، وبينهما حملتا أمتعتها الى الغرفة التي سوف تستعملها. «انني أحب هذه الشقة» قالت، ولبطت حذاءها وسارت الى غرفة الجلوس خلف جانسيس، «إنك محظوظة لكونك قادرة على العيش بدون أن يتنفس والداك على عنقك».

ابتسامة جانسيس الجاهزة لصوفي تلاشت باختصار من وجهها. فكرت أن صـ.فـ.. ..ك أنه لم يكن مناسباً لوالدها بأن تكون هي ووليام معه. لقد كان اقتراحه منذ انتقلوا من ليتل برامنغتون أنه في الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، لما كانت هي ووليام حينئذ، فقد حان الوقت لقص خيوط المريلة. كان اقتراحه شراء شقتين، واحدة له وواحدة لهما. كان لا يرى بأن يكبر ابنه وابنته تحت سقفه عندما يحضر الى البيت نساء مختلفات.

«هل قلت شيئاً خاطئاً؟» سألت صوفي، وشاهدت التغير على وجهها ولم تتردد بالسؤال، عندئذ، اعتذار سريع في عينيها، «إنني آسفة، يا جانسي. هل ما زال يؤلمك أن والديك مطلقان؟»

«لا»، قالت جانسيس، مغتصبة ابتسامة. «لقد آلمني ذلك في حينه، كما تعلمين. لقد كرهت أن يبيع والدي المنزل ونضطر جميعاً للانتقال من ليتل برامنغتون كأننا كنا مصابين بالجذام».

ألقت صوفي نفسها برشاقة في احدى الكراسي، وجانسيس لحقت بها. «حسناً، ان والدتك جرحت كبرياءه بالانتقام، أليس كذلك؟» قالت

صوفي. وشعرت أنه منذ قالت جانسيس أن ذلك لم يعد مؤلماً، فان لديها كارت بلانش كي تثيره في العلن.

«هل تعرفين كل شيء عن الموضوع؟» سألت جانسيس. «أوه، انني اعلم ان اسم والدي هو دائماً في الصحف، وهو لا يستطيع أن يعطس اذا كانت فتاة جميلة على ذراعه بدون أن يعلن عن ذلك، لكنك كنت فقط في السادسة عشرة حينئذ، أليس كذلك؟ اعني عندما حدث ذلك».

«لا أعتقد أنني كنت شقراء بكماء» قالت صوفي بجدية. «وحيث انني كنت دائماً ازحف الى الاماكن التي لا يفترض أن اكون فيها فانني لم اسمع نهاية الاشياء التي لم تكن تعني اذني» بدون خجل هي أخبرت جانسيس نصف المعجبة، نصف المشتبهة. «الليلة التي أصبحت معرفة عامة أن والديك كانا منفصلين، كان الوالدان لديهما بعض الاشخاص على العشاء. على أي حال، أتذكر بانني شعرت كالميتة لأن الوالدين قالا أنني لا أستطيع الانضمام اليهما، وهكذا ذهبت وخيمت تحت طاولة العشاء. لقد كنت على وشك التخلي عن ذلك، فالحديث كان مملاً. عندئذ برز اسم والدك فوخزت اذني، ناوية بأن اخبرك عن ذلك في اليوم التالي. فقط لا اعتقد أنني فعلت، لأنهم كانوا يقولون أن الضحك كان عليه ـ كيف كان مشهوراً كدون جوان محلي ـ علاقاته كانت عديدة، بكل وضوح ـ لكن كيف جعلته والدتك أضحوكة لكنها كانت على علاقة مع بارني ثافيستوك منذ اليوم الذي انتقل فيه الى القصر في فيلوز توب منذ سنتين، وبما أنك أنت ووليام قد اصبحتما بالغي الرشد، فهي انطلقت معه»

الاخلاص لوالديها جعل جانسيس عاجزة عن قول أي شيء ضد أي منهما عندما انتهت صوفي. لكن الاخلاص لم يستطع أن يجعلها تجادل بأن ما تحدثت عليه صوفي كان خاطئاً، لأن ذلك كان كثيراً جداً على ما

حدث. مع أن صوفي قد أغفلت أن والدتها قد تزوجت من بارني تافيستوك بعد الطلاق وهي تعيش معه الآن في زووريخ.

على وجبتهما أثارت صوفي ما كان يجري في القرية لغاية تاريخه. «انهم قد يدفنون ذلك، فقد أصبح ميتاً»، كان رأيها قبل أن تغادر المائدة وذهبت للاهتمام بتفريغ أمتعتها.

مشغولة بالغسيل، تأملت جانيس على زواج والديها. لم تفكر به لبعض الوقت. تذكير صوفي هز الذكريات العديدة المؤلمة واعادها الى الحياة، ايجاد والدتها غارقة بالدموع وهي في سن الحادية عشرة، واكتشفت في الرابعة عشرة لماذا كانت والدتها تبكي كثيراً، ولماذا في أوقات أخرى كانت مقطبة وترفض التحدث الى والدها. فكرت في البداية أن الجو في البيت كان كله غلطة والدتها، ولم تستطع أن تفهم لماذا توجب عليها باستمرار أن تكون وسخة معه طول الوقت.

كان ذلك حتى بعد عيد ميلادها الرابع عشر بقليل. لقد كان يوم سبت. ويليام ودافي ذهبا لقضاء نهاية الاسبوع تحت الخيام على بعد عدة أميال من الطريق وهي مع صوفي ذهبا على دراجتيهما لاستطلاع احوالهما. لكنها لم تستطع الوصول حتى منزل آل ايلنغتون لاستدعاء صوفي، لأنها أغمي عليها وسقطت عن دراجتها. ما عدا خدش في ركبتها فهي لم تؤذي نفسها كثيراً، لكن، لا تزال تشعر بالغرابة، فقد عادت مع دراجتها الى البيت.

والدها، صناعي مشهور، كثيراً ما كان يسافر لعدة أيام في رحلة عمل. كان قد رحل في اليوم السابق، لذا دهشت عندما رأت سيارته واقفة على الطريق العام. هي لم تسأل لماذا عاد الى البيت في ذلك اليوم، مع أنها في السنوات اللاحقة هي كونت رأيها بالنسبة لماذا هو يعمل في نهاية الاسبوع عندما معظم آباء الفتيات الاخريات يكونون في

البيت.

شعرت بتحسن لرؤية سيارته هناك ودخلت الى البيت لتطلب منه أو من والدتها الاهتمام بركبتها. لكن ركبتها نسيت، لأنها عندما دخلت الى القاعة أذناها هوجمتا بالشجار الذي كان جارياً في غرفة الجلوس، هي لم تسمع والدتها، تصرخ بصوت هي لم تسمعه من قبل، تتهم والدها بعلاقته الاخيرة، مثل النمرة الجريحة، هي لم تتوقف هناك بل استمرت في اتهامه بعلاقات أخرى عديدة. مصدومة، وقفت جانيس متسمرة وسمعت المتهم يحاول الدفاع عن نفسه. لم تستطع أن تصدق ما سمعته، فقد سمعت والدتها تقول أنه يستطيع أن يفعل ما يحلو له، وأنها لديها الدليل من مخبر خاص. عندئذ أخيراً، عندما فكرت أنها كانت تحفر نفسها وتمرض في ارضها، سمعت والدها يزمجر: «حسناً، ما الذي ستفعلينه حيال ذلك؟ أنت لن تتركينني - أعلم ذلك. أنت تصلحين جداً للأكل».

جانيس لم تعد مريضة، وبدلاً من ذلك أغمي عليها ثانية. جلست ببطء على الصوفا، وسمعت صوت والدتها، هادئاً الآن، نقياً، كما كان، تقول، «من الافضل لك أن تذهب. انني لا اريدها أن تتنفس نفس الهواء مثلك».

نوبات اغمائها ودوارها استمرت لحوالي ستة أشهر. ليس هناك خطأ جدي، قال الطبيب، بعض الفتيات عرضة للاغماء في عملية النمو. تغلبت على نوبات الاغماء، لكن ليس حتى السنة الماضية عندما التقت شو واقتنعت بأنها لا تريد أن تتزوج. وحتى ذلك الحين كانت مقتنعة بأنها ستبقى عزباء، ولن تقع في الحب، ولن تحب أي شخص لدرجة أنها تريد أن تتزوج منه، وتخاطر بأن يتحول زواجها الى مباراة صراخ مليئة بالنفور المتبادل الذي سمعته ذلك اليوم.

عندما دخل شو الى حياتها أدركت ان إيمانها المتصدع بأنها لن تتزوج كان فقط بالضبط كذلك. ستتزوج من شو مثل طلقة عندما يطلب منها. بعض الزيجات ـ قلة، عدلت تفكيرها ـ قد تكون كزواج والديها. لكن ليس زواجها. زواجها من شو لن يكون مثل زواج والديها. كان شو مخلصاً لها مثلما كانت مخلصة له. لا تستطيع أن تفكر به بأية طريقة أخرى. الاخلاص هو المكافأة فوق كل الاشياء.

لكن شو لم يطلب منها أن تتزوجه ـ لكي تنام معه، ولتكون خليلته، نعم، لكن لا أن تتزوجه. هي لم تنم معه، لكن ذلك لم يكن لأنها لا تريد ذلك ـ بل هي تريد. ما الذي منعها حتى الآن هي لا تدري، فلعدة مرات سلب منها ذلك كل ارادتها، بالاضافة الى أنها سحبت نفسها من بين ذراعيه، لتقول، «آسفة، يا حبيبي».

مثلها العليا عن الاخلاص تلقت ضربة مميتة عندما اكتشفت عن طريق «صديقة»، أن ما لم ينله منها كان يناله من فتاة أخرى.

لم تصدق، مذهولة تماماً. تحدثه حول ذلك، فقط لتكون أكثر ذهولاً، فقد منذ اليوم السابق كان يقسم منكراً حبه لها، اذا بها تسمعه يعترف بذلك. «أنا لم أخبرك بأنني سأقسم على اتخاذ العزوبية حتى أنانك»، اخبرها بوحشية، وشعرت جانيس باللون يصعد من وجهها عندما حدقت اليه، والمعرفة ازدادت بأن كل ما لديها كان [illegible] من الواضح أنها كانت الفتاة الوحيدة في دفتره الأسود الصغير بدون نجمة صغيرة بجانب اسمها. لقد عرفت انه حالما تمحى النجمة الصغيرة، فان شو بتغلي سوف يستمر بالتواعد معها فقط حتى يدخل اسماً جديداً في دفتره.

تلك «الصداقة» انتهت في شهر أيار. والآن كان شهر كانون الثاني، ورغم أن افكارها حول عدم الزواج قد تغيرت، فان مثلها للاخلاص في

الزواج كانت حتى اكثر تحصيناً. قد تتزوج ذات يوم، لكن فقط عندما تكون متأكدة مائتين بالمئة بأنها تستطيع أن تحب ذلك الرجل لمدى الحياة، وتشعر بنفس الطريقة عندما تقوم بذلك الارتباط.

«يجب أن تكون لديك خادمة، يا جانيس» قالت صوفي من المدخل، «أنا لم اكن أعلم أن تفريغ الامتعة كان هكذا عملاً شاقاً. سأصدر التعليمات الى الوالدين لزيادة راتب جانسي».

عادت جانيس الى الحاضر، سعيدة في الواقع لوجود صوفي ودعابتها معها، مع أنه لولا ثرثرتها العلنية حول والديها، فهي تشك في أنها سوف تنتشل الذكريات الاليمة من اجازات عقلها.

«هل كوبس لا تزال معك؟» هي سألت، وتذكرت أن خادمة آل ايلنغتون كانت معهم حسبما تتذكر.

«أم م م» ارتبكت صوفي، وجهها مضيء. «لا أستطيع أن اتذكر لماذا، لكن يبدو أنها تحبنا، هل يمكنني استخدام الحمام أولاً؟»

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة عندما كانتا مستعدتين لتغادرا الى الحفلة، وصوفي بدت جميلة في ثوبها الاسود المنخفض الجريء، فكرت جانيس.

«انت تبدين جميلة وتعلمين ذلك» قالت جانيس.

«وانت لا تبدين سيئة»، صرحت صوفي، ونظرت بحسد الى شعر صديقتها الجميل. «أنت اكثر تغطية مني» أضافت، معجبة بثوبها الاخضر الفضفاض الذي كانت ترتديه جانيس، «مع ذلك لا يزال لديك المزيد...» عاجزة عن ايجاد الكلمة التي تريدها، كشرت وقالت: «عديني بأن تقفي في زاوية مظلمة وتعطيني الفرصة لأجعل عيونهم تشرئب نحوي».

«تعالي»، ضحكت جانيس.

دخلنا الى سيارة صوفي. «يمكنك دائماً أن تقوديها في طريق العودة اذا فرقعت»، هي اخبرت جانسيس بخبث. بعد نصف ساعة توقفنا عند منزل بريمروز زولمان.

لم يكن على جانسيس أن تبحث عن مضيفتها، لأن بريمروز نفسها هي التي جاءت الى الباب، وبدلاً من أن تبدو منزعجة لترى الضيفة الاضافية واقفة على العتبة، هي بدت سعيدة، «أوه، عظيم،» هي ابتسمت، عندما قامت جانسيس بالتقدم، وتشرح أن صوفي كانت تقيم معها. «يبدو أن لدينا فائضاً من الرجال في هذه اللحظة. ذلك لن يدوم، لكن دعاني آخذ معطفيكما بينما تدخلان وحتى الاعداد مرتفعة قليلاً».

نالت صوفي نجاحاً سريعاً، عندما ارتابت جانسيس أنها ستكون. وعندما حان وقت الرقص، ولا فتاة منهما كان ينقصها شريك، مع أن صوفي بدت اكثر سعادة من جانسيس لترقص مع الشريك الذي وجدته في لحظة.

تحولت الحفلة لتكون اكثر مما توقعتها. يجب أن اكون قد كبرت كثيراً، فكرت ثانية، ولم تجد شيئاً مثيراً في محاولة تجنب يدي فانس كتربنغ الذي تخيل نفسه كقاتل السيدات. رقصت بعيداً عن متناول يده، طول الكاحل لثوبها يلتف. ظهرها له، فنظرت الى الباب فرأت ادريان هوارد يدخل لتوه. اوه، يا الهي، فكرت، روح الدعابة الذي وصلت به الى الحفلة قد تلاشى تدريجياً، وهو شاهدها وكان ينظر اليها بذلك التعبير الروحاني الذي لا تحبه. هي فقط لم تشعر بأنها قادرة على التعامل مع احتجاجات ادريان للحب الليلة. شعرت بيدي فانس كتربنغ تمسكان بها وتسحبانها نحوه. أي جحيم هذا، فكرت، وانزعجت فجأة، والفكرة التي نمت في عقلها هي أنها اذا رأها ادريان تستجيب لشخص آخر، وبما عندئذ ستكون لديه فكرة بأنه ليست هناك فرصة له.

«حار قليلاً هنا، أليس كذلك؟» استعلم فانس.

اوه، اللعنة، فكرت، اليست لديه فكرة أفضل من تلك ليخرجها من هذا العراك ووحيدة الى مكان ما؟ «هل تعتقد ذلك؟» قالت بهدوء، متجاهلة الاقتراح في صوته. «أنا نفسي اعتقده مناسب».

كشر فانس، وذراعاه نزلتا الى خصرها بغض النظر أن نغمة الموسيقى لا تحتاج الى قبضة كهذه. اذا قال، «انت وأنا نستطيع أن نصنع موسيقى عذبة معاً» فانني ساضربه، فكرت، لكنها خافت أن يكون ادريان لا يزال يراقبهما، فابتسمت الى شريكها.

عندما شاهد ابتسامتها، اشتدت قبضة فانس عليها. على وشك أن تعطيه دفعة تضع بعض الضوء بين جسميهما، نظرت الى حيث كان ادريان واقفاً ـ كان لا يزال ينظر.

ارغمت نفسها على الاسترخاء، وهكذا فالحركة لابعاد فانس لم تحدث، ومتشجعاً اكثر، هو طبع قبلة على عنقها. صرت على أسنانها لئلا تفسح مجالاً للانفعال الذي جعلها تتجمد بين ذراعيه، واطلقت نظرة ثابتة الى الباب، وفي الحال شعرت بشكوى التي من النظرة المضروبة على وجه ادريان جعلته يفكر أنها كانت سعيدة في كل ما كان يجري. لأن قلبها نحوه، فهي لا يمكن أن تكون بهذه الوحشية. على وشك أن تخبر فانس بالتوقف على ذلك، نظرت نحو ادريان لتلتقط منظراً من الرجل الطويل واقفاً خلفه ـ ولم تكن هناك نية لتقول بأن فانس كان يلعب لعبة سولو ذهبت تماماً من عقلها.

نظرت بسرعة بعيداً عن القادم الجديد. يا الهي، أية نظرة هو أعطاها الها! لم تشاهد مثل هذا الاحتقار على وجه أي شخص. وكان ذلك كله الها! ربما يفكر مثل ادريان.

يدا فانس كتربنغ كانتا تحومان فوق ظهرها فجعلتاها تدرك أن لديها

برودة افضل للوضع الآن. لكن نظرة الغريب أثرت فيها اكثر مما اعتقدت، ولدهشتها الخاصة سمعت صوتها يبدو أجشاً عندما قالت:

«انا ـ أنا لا أريد أن ارقص أكثر».

عيناه أضاءتا، وهي نسيت الغريب عندما ادركت نغمة صوتها الأجش المفاجئة التي أعطت فانس انطباعاً بأنه قد هيج بداخلها الحافز للخروج. يا الهي، فكرت باشمئزاز، بعض الرجال! ستنتهي هذه الحفلة هنا.

في عقل لكي تجد صوفي، التي بدت لتختفي باحباط، كانت جانسيس كلها متأهبة لتسألها اذا كانت تمانع في إنهاء الحفلة بدونها. كانت صوفي مقبولة تماماً من الجمهور ولا تمانع قيد أنملة، عرفت، اذا هي لم تكن مستعدة لكي تغادر.

محطمة قبضة فانس، اعطته ابتسامة تأملت أن يقرأها، «آسفة، ابحث عن فتاة أخرى»، وتركته. الرجل الذي أعطاها تلك النظرة الساخرة بد أنه كان لا يزال بجانب الباب، لكنه لم يعد ينظر اليها، وعيناه كانتا اكثر انتباهاً على النساء الاخريات في الغرفة. ذكر وعل آخر خرج ليصطاد، فكرت جانسيس بمرارة، مع أنها فكرت في سرها أن النساء هنا صغيرات جداً له. هو بدا ليكون في منتصف ثلاثيناته، ومع أنه لم يكن جميل الشكل، فهو بكل تأكيد لديه شيء ما حوله الذي قد يعني أنه، مثل شو، لا يعيش حياة راهب. اللعنة على شو، فكرت، بغرابة، وشعرت بتحسس حوله اكثر مما كانت لفترة طويلة.

«هاللو، جانسيس،» قال ادريان عندما اقترب منها.

على وشك أن تخبره بأنها عائدة الى البيت، ادركت أن ذلك سيترك الدعوة مفتوحة لكي يوصلها، حيث أنها عرفت بأن ادريان قد لاحظ سيارتها ليست متوقفة في الخارج.

«هاللو» أجابت، وعندما تبين أنه على وشك أن يدعوها للرقص، «ان

الحمام»، قالت، وتركته يفكر بأنها ستعود.

الرجل الطويل بجانب ادريان عليه أن يتحرك اذا كانت ستمر بجانبه بدون أن تحتك به. «اسمح لي»، قالت، عندما هو ليس فقط لم ينظر اليها، مع علمه أنها كانت هناك، بل بدا مصراً على تجاهلها. من الواضح أنني لست من نوعه، فكرت بغرابة، ثم شعرت باللقحة اردة لأبرد عينين عندما عبارتها «اسمح لي» قد عرقلت بحثه عن أنثى على مذاقه.

انني أعرفه من مكان ما، فكرت، وشعرت بالارتجاف أن أي رجل، معلوم أو مجهول، يستطيع أن ينظر اليها بمثل هذه الكراهية الباردة.

لم تكن هناك معرفة في نظرته عندما استمر في حجز عينيها الخضراوين الواسعتين في تلك النظرة القاسية الباردة.

«أريد المرور» قالت بصوت أجش، صوتها متأثر ثانية بهذا الرجل البارد الذي لا يقبل التفاهم.

انزاح من الطريق. فكرت جانسيس أنها التقطت الكلمات، «استمتعي بوقت جيد» مع أنها لا تستطيع أن تكون واثقة. بدون أن تفهم الملاحظة، مع أنها لم تفكر بأن تستدير وتسأله ماذا يعني، اتجهت الى السلم.

بعيداً عن نظرته القاسية، فالاحساس بأنها قد التقت به من قبل في مكان ما قد اختفى. لم تستطع أن تتذكر بأنها قدمت اليه في اي مكان. ذاكرتها خدعتها، قررت، ثم ذهبت على طول الممشى لكي تتحقق أن صوفي لم تكن في الحمام. كان الحمام خالياً.

اوه حسناً، ستأخذ معطفها بينما هي هنا وتشرح لصوفي بأنها ستغادر عندما تنزل الى الطابق السفلي ثانية. هي فقط تأملت بأن لا يكون الرجل واقفاً في المدخل عندما نزلت. لفترة انتظرت لكي تتجاوز، حتى قبل أن

ينظر اليها كأنه شاهد أشياء أفضل، شعرت بعداوة مرتفعة، ولم تثق بنفسها بأن لا تندفع بوقاحة وتتجاوزه بدلاً من أن تطلب منه بأدب اذا بامكانها المرور مرة ثانية.

الفصل الثاني

متجهة الى غرفة النوم هي فكرت أنه كان الشخص الذي أخذ معطفها في المرة الأخيرة التي حضرت فيها احدى حفلات بريمروز، فتحت جانيس الباب الى يسار الممشى، وبحثت عن مفتاح النور.

غمر النور الغرفة، لكن لم تكن هناك معاطف على السرير. أوه حسناً، هي ستجرب باباً آخر. متراجعة الى خارج الغرفة، اصطدمت بشيء صلب. وقفت ساكنة، والاعتذار على شفتيها، لكن اعتذارها لم يصدر. ما غادر شفتيها كان صرخة من الدهشة عندما ذراعان طوقا خصرها وصوت فانس كتريدج تمتم في اذنها:

«آسف لأنني تركتك تنتظرين، لم أكن أريد أن يبدو ذلك واضحاً جداً».

على وشك أن تجيب بتعليق حاد، استدارت جانيس ورأت أنه كان جاداً، والنظرة في عينيه أخبرتها بالضبط ما يجول بخاطره.

«الآن فقط...» كان ذلك كل ما استطاعت قوله. متشوقاً لكي يأخذها الى غرفة النوم، دفعها فانس الى الامام، وانتظر فقط لكي يتحقق أن الغرفة كانت خالية، ثم أطفأ النور وفي نفس الوقت أغلق الباب خلفه.

بسرعة وضعت مسافة بينهما. كانت الغرفة مظلمة، لكنها عرفت أنه كان لا يزال بجانب الباب، لذا لم تكن مستعدة للاقتراب من الباب لكي تغادر. كان فانس قوي البنية، ورغم أنها كانت واثقة من اقناعه بأن فكرته للمرح ليست لها، فهي لم تفكر بأن وضع نفسها في متناول ذراعيه سيخفف من حماسه.

«هل نمت على السرير، يا جانيس؟» جاء صوته ناعماً، وهو أيضاً كانت لديه صعوبة في الظلام.

انتقلت الى السرير، تنوي لتقول، «نعم»، وتنتظره ليتقدم وعندها تندفع الى الباب. بسرعة خطرت بذهنها الفكرة كيف أن صوفي ستضحك عندما تروي لها هذه الحكاية.

«نعم، انني بجانب السرير» همست، عضلاتها متوترة استعداداً للهرب.

سمعته يتقدم، وانتظرت فرصتها، ثم عندما كانت على وشك البدء في العمل، واخذت فعلاً خطوة واحدة للهرب، اصطدمت به مباشرة. «ا... صرخت، مندهشة اكثر من خائفة. غبية لكي تتوقعه يأتي من الجانب الآخر للسرير. «دعني اذهب يا فانس! أنا لست...» عانقها عناق الدب. «أنا لست...»

عندئذ تجمدت فجأة، ثم اندفع الارتياح خلالها عندما غمر الضوء الغرفة.

تجمد فانس، أيضاً. لا أحد منهما سمع الباب يفتح. قبضته عليها تراخت، وعلى وشك أن تقفز عن السرير ألقت عليه بعض الملاحظات

الوسادة من فوق كتفها، ونظرت جانيس نحو الباب ورأت الرجل الذي دخل وكان ينظر اليهما كأنهما كانا رائحة قذرة وكان هو الرجل الذي اعطاها النظرة الباردة القاسية في الطابق السفلي عندما طلبت منه أن يسمح لها بالمرور.

فقط الآن الكلمات التي القيت خلفها بدأت تأخذ أي معنى. تعليماته «تمتعي بوقت جيد» كانت واضحة تماماً. لقد شاهد فانس كتربنغ يقبلها وفكر بأنهما صعدا بهدف استكمال النية التي كانت تجول بخاطر فانس، لكن ليس بخاطرها.

«هذه الغرفة مأخوذة» سمعت فانس يقول قبل أن يكون لديها لعاب كاف لتتفوه بكلمة. عندئذ ارتفع الاحتجاج الى شفتيها، انطفأ النور، وهكذا، بدون كلام، فعل الدخيل.

مجلفنة في العمل، الصدمة لما حدث أخذ المقعد الخلفي وبينما تعاملت مع أزمة عاجلة، استفادت جانيس من مهربها الجديد لكي تجد مكانه، فقفزت عن السرير قبل أن يعرف أنها انتقلت. داخلياً كانت تلوي للنظرة التي اعطاها اياها الرجل عندما قفزت الى الباب. مع يدها على قبضة الباب هي توقفت تنوي اعطاء فانس كلاماً لاذعاً من لسانها، ثم تعجبت باختصار كم اعطته من التشجيع في جهودها لتجعل ادريان يرى أنها لا تشعر هكذا نحوه. بدون أن تقول كلمة فتحت الباب وخرجت على طول الممشى.

لم تعد تفكر بها حكاية جميلة لكي ترويها الى صوفي - فالحفلة قد انتهت بالنسبة اليها - وتفحصت جانيس بحذر غرف النوم الأخرى حتى وجدت غرفة حيث كان السرير محملاً بملابس خارجية. بدون مزيد من الارتياح وجدت معطفها وكانت على وشك أن ترفعه من الكومة، عندما صوت في الغرفة الخالية نبهها الى حقيقة أنها لم تكن وحيدة.

جاء الصوت ثانية. رفصات السرير! مضحك ـ لم يكن هناك أحد على السرير. بحذر رفعت الاغطية التي كانت منسدلة الى الارض، وطرتها. نظرت خلسة الى تحت، ومع احساس بالدهشة رأت الرأس الاشقر لصديقتها صوفي.

«صوفي!» تعجبت، وهالها ماذا كانت تفعل صديقتها الآن، «ماذا أنت... هل هناك أي شخص معك تحت؟»

«هل سيكون هناك» قالت صوفي التي لا تقمع، دون أن تظهر أية اشارة برغبتها في الخروج. عندئذ بتأخر، بدا وجهها فوراً، وهمست بسرعة، «ماذا عنك ـ هل هناك أي شخص معك؟»

«انني وحيدة»، اخبرتها جانيس، متعجبة اذا كان أحد المعربدين قد أخافها واذا كانت هي مختبئة تحت السرير. تجعد حاجبها. تلك لم تكن مثل صوفي. شاهدتها تخرج ضاحكة من اوضاع التي تتركها جريحة لمدة أسبوع.

«ما الذي تسعين إليه، يا صوفي؟» سألت بعنف، وشعرت أنها مسؤولة عنها اذا كانت هي تسعى الى خديعة ما في منزل صديقتها.

نظرت صوفي بتفكير للحظة، كأنها بعقلين هل تخبرها أم لا. عندئذ، اخلاص جانيس لن يكون موضع سؤال، قالت، «حسناً، حيث أنني سأكون بحاجة الى مساعدتك، فأعتقد أن من الأفضل أن أعترف».

عندئذ باشرت باثارة صديقتها المذهولة الى السبب الذي وجدته ضرورياً لاحضار الكثير من الامتعة معها عندما فكرت جانيس أن زيارتها كانت فقط لنهاية الاسبوع. من الواضح أن صوفي كانت تأمل في البقاء معها لفترة أطول ـ مع أنه فقط لمدة شهر، اذا لم تكن تمانع.

«ان ذلك كله هو غلطة الابوين» تذمرت صوفي، وقد برز رأسها ببطء، مع أن جسمها لم يكن في مكان قريب، «كان والدي يفرط في

العمل قليلاً فتحدثت اليه الوالدة ليقوم برحلة بحرية. لقد فكرت بأنها ستكون فكرة عظيمة جداً» أضافت، واستطاعت جانيس أن تتخيل الفترة الشرسة التي ستقضيها صديقتها الشابة بدون وجود والديها للاشراف عليها، «عندئذ فقط لأنه حدث أن كانت عندي حفلة أن ابتعدت قليلاً عن متناول اليد في المرة الاخيرة التي سافرا فيها ـ كل تلك المشكلة لأن احدى الغرف كانت بحاجة الى اعادة تزيين، أنا طلبت منك! ـ قالا بأنني يجب أن اذهب للبقاء مع شقيق والدتي طوال فترة غيابهما».

ما زالت بدون دليل حول علاقة كل هذا مع اختباء صوفي تحت السرير، وحتى أية مساعدة ارادتها صوفي منها. لا حاجة للقول أنها كانت موضع ترحيب للاقامة معها خلال فترة غياب والديها، حتى ولو رأت أن الشهر القادم سيكون كثير الشعر قليلاً.

«لكن شقيق والدتك لا يريدك أن تقيمي معه» قدرت، وتخيلت رجلاً يرفع يديه في هلع لفكرة أن تحط صوفي عليه.

«هذا صحيح، هو لم يوافق» وافقت صوفي. «مع ذلك لأجل خاطر والدتي، قال بأنه سيتحملني، ورجاهما فقط الاسراع بالعودة».

«اوه»، قالت جانيس، وتعجبت اذا كانت الغمامة ستزول، وقدرت ثانية، «اذن لقد أخبرته أنك تفضلين البقاء معي».

«ليس بالضبط» قالت صوفي، «كانت الوالدة متشددة جداً حول ذلك والوالد هدد بقطع نفقتي اذا رفضت الذهاب. لقد كان البديل الآخر هو أن يأخذاني معهما في الرحلة. هل يمكنك أن تتخيلي؟» قالت خائفة، «توقفت عن الذهاب معهما في الاجازات عندما كنت في السابعة عشرة. سأكون مكبوتة على الباخرة مع عيونهما المراقبة علي كل دقيقة ولا مكان لأهرب اليه».

كان النور قد بدأ يجتاز الى جانيس. كان والد صوفي معروفاً بأنه

يدار باليد، وكانت والدتها نسبة أعتد بكثير. وهكذا كان اما أن تنف البهما على الرحلة أو تذهب، في غياب اشراف والدتها، حيث شقيق السيدة ابلنغتون الاكثر خشونة ليكون قادراً على مراقبتها.

«بأمانة، يا جانسي، أنا سأموت من الضجر اذا كان علي أن أذهب الى منزل خالي. إنه يبعد أميالاً عن أي مكان وهو سيكون في العمل طوال الساعات التي يرسلها الله، لذلك سأكون برفقة نفسي فقط» توقفت صوفي لكي تتعجب بمشاكسة، «ذلك ليس حتى كأن عليه أن يعمل، لأ أتى على معظم ثروة جدي الضخمة. لكنه يقضي يوماً بعد يوم محتجز بعيداً في المختبر الذي بناه الى جانب منزله بشيع الفوضى مع أنابيب الاختبارية، واذا لطخت دفتري مرة، فانني أعلم بأنه سيخبر والدتي ووالدي سيفعل حسبما يهدده ويقطع نفقتي. انني لا أحصل على ما ب الكفاية لكي اتجول كما يجب» أخذت تنوح.

سمحت جانسيس لنفسها بابتسامة قصيرة التي أخفتها بسرعة. كانت صوفي تميل الى المبالغة، ومنذ عدة أشهر، حسب علمها تلقت نفقة سخية جداً من والدها. استقر عقلها على ما ستقوله صوفي أيضاً.

«أنابيب اختبارية؟» استعلمت، مبتعدة عن الموضوع الحقيقي للحد وفكرت ان هذه كانت المحادثة الاكثر شذوذاً لديها حتى تاريخه، ولاحظت أن رأس صوفي برز فقط قليلاً جداً عن السرير، بينما حر نفسها اختارت الجلوس على الارض حيث تستطيع أن تشاهد صور بصورة أفضل. ماذا كان عادياً بينما كانت صوفي في مكان قريب؟

«كان هو عالماً زراعياً أو شيء ما»، شرحت صوفي. «يعبث في الاوساخ طول النهار ليرى أي المحاصيل ستنمو من التربة من أنحا مختلفة من العالم».

شاهدت جانسيس تماماً أن العمل الذي كان يقوم به خال صوفي ق

يكون قضية بالغة الاهمية جداً اذا النتيجة النهائية كانت أن البلدان المهددة بالمجاعة ستكون قادرة على زرع كميات كافية من الغذاء لابقاء المجاعة في موقف حرج، لكنها رأت أيضاً أن يكون عليها أن تقيم مع بحاثة عجوز لمدة شهر سيدفع صوفي فوق الحائط. لكنها لم تقترب من اكتشاف ماذا كانت تفعل صوفي في مخبئها تحت السرير.

«اذن أنت لم تخبري خالك بأنك قادمة للاقامة معي. الا يتوقع وصولك؟»

«هو كان يتوقع» اعترفت صوفي، «كان يفترض ان اذهب بسيارتي الى منزله في كوتسوولدس بعد ظهر هذا اليوم».

«بعد ظهر هذا اليوم؟ لكن...».

«لكن جئت اليك بدلاً من ذلك» أنهت لها صوفي بحياء.

«هل اتصلت به هاتفياً واخبرته كيلا يتوقع وصولك؟» اقترحت جانسيس، وعندما حركت صوفي رأسها ببطء من جنب الى جنب، «أنت لم تتصلي به هاتفياً وتخبريه كيلا يتوقع وصولك؟».

«أنا لم أفعل».

«أوه، يا صوفي! إنه لن يكون فقط قلقاً عليك، بل سيكون غاضباً عندما يعلم بما فعلت».

«أنا أعلم» قالت صوفي، وكل الدعابة اختفت فجأة من وجهها.

«سيكون لديه كل تبرير لقتلك عندما يراك لاحقاً»، قالت جانسيس، محاولة أن تبدو عابسة، لكنها كانت ممزقة بين الرغبة في الضحك والحافز بمحاولة بث بعض الاحساس بالمسؤولية في صوفي.

«هو غالباً ما يراني»، قالت صوفي بهدوء، ثم، احساسها بالدعابة نال منها، «ماذا تعتقدين أنني أفعل ملتصقة تحت هذا السرير؟»

«ماذا!» بارتياب، حدقت جانسيس اليها، «هل تعنين أنه هنا؟» عندئذ،

علمت أنها يجب أن تكون مخطئة، «هو لا يمكن أن يكون. كيف يمكنه؟ أنت نفسك لم تكوني تعلمي أنك ستكونين هنا حتى وصلت الى منزلي».

«إنه هنا» قالت صوفي باقتناع. «لا تسأليني كيف عرف أين يجدني، لأنه ليس لدي دليل. لكنني فقط كنت في طريقي الى الطابق السفلي بعد زيارة لعب الورق عندما سمعت بعض الواصلين مؤخراً عند الباب. لم أستطع أن أصدق عيني عندما رأيت ثورب كنغمان. لحسن الحظ هو لم يراني، مع أنه يجب أن يكون قد شاهد وعرف سيارتي في الخارج».

«أوه» قالت جانيس، وفجأة بدا أن التنفس قد غادر جسمها.

كيف يمكنها أن تنسى؟ فكرت مترنحة. الطريقة التي تكلمت بها صوفي كانت أنها تخيلت رجلاً أشيب الشعر، مستدير الكتفين مع بقع جاثمة على طرف أنفه. لكن، عندما فتحت بوابات الطوفان لذاكرتها، عرفت أنه لم يكن عجوزاً بتاتاً. قالت صوفي أنه كان هنا الليلة، وهي كانت على صواب، لقد رأته هي بنفسها ـ مرتين، مرة في الطابق السفلي ومرة عندما دخل الى غرفة النوم حيث تبين أن فانس كتوبيغ كان يضاجعها. فطرتها التي اخبرتها في الطابق السفلي أنها عرفته لم تكن مزيفة أيضاً. هي تعرفه فعلاً. مرة قبل أن تقابل خال صوفي، وقد بدا ذلك مستحيلاً الآن بأن السنوات قد مسحت ذلك اللقاء من ذهنها. لأن عمرها كان اثني عشر عاماً حينئذ وقد أقسمت على أن تكرهه بقية حياتها. لقد شوهد وجهه عندئذ في البداية عبر غشاوة من الخوف، قبل ان يطرد الغضب الثائر ذلك. لكن لكي تنسى ذلك...

«انني لا أستطيع الذهاب معه» ناحت صوفي، «فقط لا أستطيع، يا جانسي! كيف اقتفى اللهب آثاري لست ادري، لكن حيث أنه كان واحداً من أولئك المخلصين ـ كلمتي هي طوقي مطبوعة طول الطريق من

خلاله ـ انني فقط أعلم أنه ليس لديه نية بالعودة الى كوتسوولدس بدوني».

بدأت جانيس تشعر بالانزعاج على مصلحتها. كانت مخطئة في الموافقة على الذهاب والاقامة معه في البداية ومن ثم تهرب بدون أن تدعه يعلم. لكن في الواقع، فقط لا تستطيع أن ترى صوفي ملتصقة مع ذلك الرجل البارد المخيف حتى يعود والداها.

«سأحضر واراه معك...» بدأت، وشعرت بالشجاعة في وجه هلع صوفي، وتفكر بأن تطلب منه أن يسمح لصوفي بالبقاء معها. عندئذ ادركت أن ذلك لا جدوى منه. ثورب ـ ماذا كان اسمه الآخر لم تستطع أن تتذكر، إن هي عرفته ـ كان قد شاهدها على ذلك السرير مع فانس. يجب أنه كان يبحث عن صوفي، رأت ذلك الآن. لكن من وجهة نظره يبدو أنها كانت تقضي وقتاً ممتعاً مع فانس، ومع خال صوفي الذي كان قد قطع وعداً ليتحمل المسؤولية عن ابنة شقيقته، فهي لا تستطيع أن تراه يتخلى عن تلك الوصاية للنوع من الفتاة التي اعتقد أنها تكون. «ذلك لن ينجح، أليس كذلك؟» قالت بأسى.

كانت صوفي تفكر. «سأخبرك ما الذي قد ينجح» قالت، وكان لديها عقل ضال اكثر من جانيس. «إنه يعني بأن تغادري الحفلة باكراً».

«لقد صعدت لتوي لأخذ معطفي، فعلاً»، اعلمتها جانيس، وتأملت أن الخطة التي كانت صوفي على وشك أن تكشف عنها لا تورط أي شخص كثيراً. «لقد كنت أبحث عنك لأخبرك انني ذاهبة ولأعطيك المفتاح الاضافي لشقتي».

«عظيم» قالت صوفي، مليئة بالحماس.

لقد كانت المرة الاولى التي تستطيع جانيس أن تتذكر أنها تغادر حفلة بدون أن تقول وداعاً لمضيفتها. المرة الاولى التي قامت بمثل هذا

الاحتيال وقادت السيارة بعيداً من المنعطف، في ذلك الوقت من الليل أيضاً، تأملت، عندما قادت سيارة صوفي بعيداً عن الحفلة.

متبعة التعليمات جعلت المحرك يزمجر والاطارات تزعق احتجاجاً حتى هكذا، هي كانت تشك أن توربِ كنغمان، كما عرفته الآن سوف يسمع الضوضاء التي احدثتها.

فكرت صوفي أن من الافضل أن تبقى هي في الحفلة في حال أن الحظ لم يحالفهما، اذا طارد توربِ السيارة، فعندئذ هو لن يجد أن صوفي هي السائقة، بل جانيس البريئة المظهر التي ستقول أن صوفي قد حضرت لرؤيتها بعد ظهر ذلك اليوم وأنها قد اعارتها سيارتها لعدة أيام. من الواضح أن صوفي كثيراً ما تعير سيارتها.

خفضت من سرعتها عندما اقتربت السيارة من شقتها، ونظرة في مرآتها الخلفية أكدت لها أنها لم تكن ملاحقة. لقد كان رأي صوفي أنه اذا لم يطاردها توربِ كنغمان، ثم عندما يعرف أن سيارتها قد ذهبت فمن الطبيعي أنه سيفترض أنها هي قد ذهبت أيضاً.

وهكذا هو قد فعل، فكرت، لكن حيث أن رادارا ذكياً قد أخذه الى المنزل حيث كانت ابنة شقيقته، أليس محتملاً أن نفس الرادار سيقتفي آثار صوفي الى شقتها؟ الله يعلم كيف وجدها. تستطيع أن تقضي بقية الليلة حائرة في الخارج، وادخلت سيارة صوفي الموورغان. مفترضة فقط أن توربِ كنغمان وجد صوفي بالتطواف حول لندن في سيارته ولمح الموورغان واقفة خارج منزل بريمروز، فهي اتخذت الاحتياطات واخفت السيارة عن الانظار.

متعجبة في أي وقت هي قد تراها، مع أن صوفي قد أخبرتها كي لا تنتظرها في حال توجب عليها ابتكار خطة أخرى حسب الظروف وقد تقضي الليلة في فندق ما، خرجت جانيس من المصعد الى طابقها.

وعندئذ كل الافكار بصوفي وتوربِ كنغمان ذهبت من عقلها. لأن هناك، نائماً جالساً مع ساقيه ممدودتين أمامه، وظهره على بابها، كان داڤي ڤيابلز، رابع اربعتهم، رجل في نفس الرابعة والعشرين مثل شقيقها، صديق عزيز جداً الذي لم تشاهده منذ اثني عشر شهراً. مركونة بجانبه كانت نفس منصة الفنان والادوات التي يجب أن يحملها الى كل مكان يذهب اليه.

«داڤي» أيقظته بلطف.

فتح عينيه، عسليتين وتغمزان بالطريقة التي تتذكرهما. «هل يمكنني أن استجدي سريراً لليلة واحدة؟» سأل. عندئذ وقف على قدميه، ذراعاه الطويلان حولها عندما عانقها بالألفة الطويلة الأمد لصديقين.

«ليس كثيراً!» وبختِه، وفتحت الباب ورحبت به الى الداخل، «هل أنت جائع؟»

«فاصولياء على توست؟» أجاب.

بينما جلس داڤي في المطبخ، وجائعاً دائماً، يمسك الفاصولياء على التوست، هرعت جانيس وبدلت الشراشف على سريرها. من الأفضل أن يأخذ داڤي غرفتها، قررت. اذا حضرت صوفي الليلة وادخلت نفسها بالمفتاح الاضافي الذي اعطتها اياه، عندئذ سيكون من الافضل لهما أن تتمددا معاً في غرفة ويليام بدلاً من أن تندفع الى نفس تلك الغرفة وتطلق صرخة توقظ كل الحي عندما ترى داڤي تحت الأغطية. لقد بدا داڤي أنه بحاجة الى كل النوم الذي يستطيع أن يحصل عليه، وتستطيع صوفي أن تتحدث اليه في الصباح.

على شراب ساخن أخبرها أنه استقل عربة مجانية من كورنوول ذلك اليوم وانطلق ثانية في الصباح، والتقى بعض الاصدقاء في محطة فيكتوريا. من هناك انطلقوا الى باريس.

«هل استمتعت بحياتك، يا دافي؟» سألت. والد دافي لم يكن في بحبوحة مثل والدها ووالد صوفي. ارتابت اذا كانت لديه نفقة، لكن ذلك لم يزعجه.

«أنت تراهنين» قال. «هناك هذه الفتاة...» توقف، وهي ادركت أنه يجب أن يكون يفكر كثيراً «بهذه الفتاة» لكنه كان شديد الحساسية حول البوح بمشاعره في العلن. عرفت كيف شعر، وشعرت بذلك نحو شو، ولم تخبر حتى ويليام.

«هل أنت جاد؟» سألت بلطف.

«نعم» قال، تاركاً ذلك هناك، وكانت قد علمت أنه افتقد رؤ ويليام، فسأل، «هل تشاهدين صوفي؟»

«من المضحك أنه يتوجب عليك أن تسأل ذلك» قالت جانيس، واخبرته عن الاعتراض الذي تلقته في حياتها النظامية ذلك اليوم.

«قضية دموية» كان رأي دافي المفضل، لأنه أحب صوفي، الجب أحبوها، «مع ذلك حسبما أذكر، أنت لم تكوني نفسك في المياه الساخ في الأيام القديمة»

«أنت تجعلنا نبدو كأننا يجب أن نسحب من تقاعدنا» قالت، وه كثر.

«اذا كنت اتذكر تماماً، ألم يكن هو نفس ثورب كنغمان الذي اصط ظهرك تلك الفترة...»

«المشكلة مع الاخوة المكرمين، يا دافي فينابلز» قالت جانيس م محاولة من الخيلاء، «هي أنهم ليست لديهم أية حساسية للكبر الجريحة لشباب المرء».

ليس بعض كثير من الوقت، مع دافي من النظر اليه كان نائماً في غر النوم الاخرى، رقدت جانيس مستيقظة، تتذكر ذلك اليوم الذي أقس

له بأن تكره ثورب كنغمان طالما بقيت على قيد الحياة.

كان ذلك خلال الاجازات المدرسية، تذكرت، لم تتذكر ما حدث من قبل، لقد تذكرت فقط أن اربعتهم كانوا يسيرون على مهل في الطريق العام الطويل لمنزل آل ايلنغتون.

«أووو!» تعجب دافي، عندما اقتربوا من المنزل. «ألقوا نظرة على ذلك!»

كل العيون تحولت الى الاتجاه الذي كان يشير اليه. بالنسبة اليها لم يكن هناك شيء مثير في الليموزين السوداء البراقة الواقفة خارج المنزل. لكن الشابين تبين انهما يفكران بأنها كانت شيئاً خاصاً عندما تجادلا حول صنعها.

اقتربوا اربعتهم لاجراء فحص قريب. «لمن هذه؟» سأل ويليام.

«إنها تعود الى ثورب» صرخت صوفي، ولا أحد منهم فكر بأن يسأل من يكون ثورب.

«يا أطفال، أود أن أقود تلك» تحمس دافي، البالغ الثالثة عشرة من العمر ويدأ يهتم بكل ما هو ميكانيكي.

«لا يمكنك تحريكها بدون مفاتيح التشغيل» أشار ويليام حسب معرفته.

«انني أستطيع» صرخت صوفي، فقط لكي تنطلق كاللهب.

«وكذلك أستطيع أنا» تذكرت مندفعة، آخذة جانب صوفي حيث أن الاندفاع غير اللائق للاثنين الآخرين جعل صديقتها تبدو على وشك الدموع. وعرفت أنها حيث كانت موضوع اهتمام ثلاثة ازواج من العيون فهي سوف تثبت افتخارها، فأضافت، «إنها سهلة».

بدون مزيد من اللغط فتحت باب السيارة وكانت في الداخل تبحث من فرامل اليد. كانت والدتها تنقلها من المدرسة معظم الأيام، فقد

عرفت كل شيء عن فرامل اليد. ابتعدت فرامل اليد، وشعرت أن السيارة تتدحرج الى الامام على منحدر من الطريق العام. لكنها أخطأت حساب ذلك المنحدر، اذا كانت قد فكرت في ذلك، وبدلاً من أن تتدحرج الى موقف فالسيارة تقدمت. «ان ما اخبرتكم به» بدا أنها القته على الآخرين فتحول الى هلع عندما بدأت السيارة تحشد قوة اندفاع. الهلع جعلها صماء الى صرخة ويليام الذي قال، «ضعي فرامل اليد!» واستطاعت فقط أن تكون شاكرة لوجوده عندما ركض مع السيارة وسحبها الى الخارج عندما بدأت السيارة تسرع.

في صمت مميت هم راقبوها، تسافر في خط مستقيم، متجاهلة منعطف الطريق العام، ذهبت السيارة بدقة مميتة عبر حدود الازهار والمروج، واتجهت الى حائط الحدود. الصوت المخيف لتحطم الزجاج أخبرهم أن السيارة توقفت وأنه بكل تأكيد قد تحطم احد المصابيح الامامية على الأقل.

لم يتحرك أحد عندما وقفوا، خائفين. عندئذ شهقة مترنحة غادرت صوفي عندما عملاق هادر، طوله لا يقل عن عشرة أقدام، تذكرت جانيس؟ كان قد خرج من المنزل، ساقاه الطويلتان بسرعة غطتا الارض عندما ذهب ليتفحص الاضرار. وعندئذ التفت، نظرته وحشية.

«اوه اللعنة» قالت صوفي البالغة عشر سنوات من العمر، وكانت قد التقطت التعبير من مكانها. عندئذ عندما اقترب العملاق، «اركضوا!» صرخت، وكانت أمامهم على الطريق. بدون تردد ويليام وداڤي ركضا خلفها.

لاعطائهم فائدة الشك، هم ربما فكروا أنها كانت خلفهم مباشرة. فقط هي لم تكن. كأنها تحولت الى صخرة، وقفت خائفة عندما الرجل الغاضب جاء ونظر اليها.

«هل تعرفين أي شيء عن هذا؟» سألها بهدوء.

كانت جانيس خائفة جداً لكي تكذب. «كان ذلك بسببي» شهقت، مرتجفة من الخوف. «لقد اطلقت فرامل اليد».

لم ينتظر المزيد بل رفع جسمها النحيل، ووضعها على ركبته ومارس، في رأيها، صفعات قوية عديدة على مؤخرتها.

الرعب ولى. الغضب والحنق حلا محله. كيف يجرؤ! فقط الاسبوع الماضي كان لوالدتها معها حديث خاص، ولقد اخبرتها أنها في طريقها لتصبح سيدة شابة، وهنا كان هذا الغول يعاملها كأنها كانت طفلة. إنها نادراً ما تذكرت أنها كانت سيدة شابة لأكثر من عشر دقائق.

أوقفها ثورب كنعمان على قدميها وتأمل وجهها الثائر. نظر كأنه توقع منها أن تقول شيئاً. لكن مع وجهها المتورد، وعينيها الخضراوين تشعان بالكراهية، حدقت اليه في صمت. عادت اليها الذكرى لدرجة أنه تراجع ليرى المزيد من الكراهية. عندئذ ببطء شديد، على غير هدى تقريباً، رفع خصلة من شعرها عن جبهتها وقال بهدوء، بادراك:

«أنت طفلة جميلة. لقد جرحت كبرياءك، أليس كذلك؟»

«انني اكرهك!» صرخت. «أنت حقير - خنزير حقير!»

عندئذ انطلقت مسرعة، تتمنى من كل قلبها أن تكون قد شلت حركته. ذلك سيعلمه درساً كيلا يهين السيدات الشابات. كان بامكانه أن يطاردها، افترضت، لو أنها لم تكسر قصبة ساقه بلبطتها. مع هاتين الساقين الطويلتين بشكل هائل يستطيع اللحاق بها بسهولة. لكنه لم يلحق بها، والثلاثة الآخرون كانوا ينتظرونها عند نهاية الطريق. لقد شهدوا خزيها في ضرب مؤخرتها وهي لا تشعر برغبة في التحدث اليهم لأنهم لم يهبوا لنجدتها.

«اووه، يا جانسي!» ناحت صوفي، على وشك أن تبكي في تعاطفها.

«لم يكن ذلك مؤلماً» تذكرت قائلة بخيلاء، وسارت الى البيت ورأسها في الهواء. لكن ذلك كان مؤلماً ـ لقد آلمها لفترة طويلة. آلمها كثيراً ولم تستطع أن تفكر متى استطاعت إزالته من ذهنها.

شخص ما قرع جرس الباب الأمامي فايقظها من النوم الى حالة شبه وعي. بغموض سمعت اصواتاً، ففتحت عيناً واحدة لترى أن النهار قد طلع، وفتحت الأخرى لترى أن صوفي لم تكن هناك، فقررت أن صوفي وصلت لتوها وكانت تتحدث الى دافي.

ما زالت تشعر بالنعاس، والادراك بأن صوفي يجب أن تكون قد تحولت الى مستيقظة مبكرة اذا هي تناولت الفطور في فندقها قبل المجيء الى هنا. من الأفضل لها أن تنهض في حال أن صوفي لم تأكل. وعلى أي حال، تود أن تتأكد اذا كان دافي قد تناول فطوراً قبل أن يذهب.

كانت قد ارتدت الروب لتوها عندما، بعد طرقات خفيفة على الباب، فتحه دافي وأطل برأسه، «آه، أنت مستيقظة» قال بطريقة صباح الخير، «الديك زائر».

«ضع الغلاية، يا عزيزي. اني مشوقة لكوب من القهوة» أجابت، وذهبت الى طاولة الزينة لتسحب فرشاة وتمشط شعرها المنفوش.

وجهها خال من الماكياج، ومظهر النوم لا يزال حولها، وشعرها ما زال يبدو منفوشاً، ذهبت جانسيس الى القاعة ثم الى غرفة الجلوس. وهناك توقفت، ونيتها في الذهاب الى المطبخ لم تتحقق. لأن زائرها لم يكن الشخص الذي توقعت أن تراه.

لفت غطاءها حولها بحزم، ووجدت نفسها وجهاً لوجه مع رجل عرفته بارداً وقاسياً وتذكرت معاقبته لها عندما كانت في الثانية عشرة من العمر. بطريقة أو بأخرى ثورب كنغمان تعقبها، والنظرة على وجهه اخبرتها عندما رفعها الى ركبته في تلك المرة وضربها.

الفصل الثالث

واعية تماماً أن منظرها قد أظهر أنها خرجت لتوها من السرير، مع أن الساعة لم تتجاوز الثامنة وهي كانت في حفلة الليلة السابقة، لم تفكر جانسيس أنها ضمنت علامة سوداء. أصبحت غاضبة لدرجة أنها كانت تبحث عن أعذار لكي تدافع بها عن نفسها ضد هذا الرجل، فتقدمت اكثر الى داخل الغرفة. غاضبة لتجد نفسها في موقف دفاعي، القت على ثورب كنغمان نظرة باردة التي موهت عن مشاعرها.

«هلا تكرمت بالجلوس، يا سيد كنغمان؟» قالت باسلوبها المضيف الأفضل. «سأكون معك رأساً. لدي ضيف. . .» تركت الكلمات معلقة في الهواء عندما استدارت باتجاه المطبخ تنوي الذهاب للبحث عن دافي، مع ذلك، قبل أن تنتقل خطوتين خرج دافي من المطبخ.

«يجب أن أسرع»، قال، «والا فانني سأتأخر»

«أوه» قالت، وقد خاب أملها. بدا دافي متعباً الليلة الماضية بحيث

أنها لم تبقيه طويلاً خارج السرير لكي تتعرف على أخباره. بدون أي اعتبار للعدالة، وضعت اللوم على ثورب كنغمان الذي بسببه لم تسنح لها الفرصة لمعرفة ماذا فعل دافي خلال الاشهر الاثني عشر الماضية. كما أن ويليام أيضاً كان مهتماً لمعرفة كيف كان دافي يسافر عندما كتبت اليه.

«ماذا عن الفطور؟» سألت، وخطتها أن ترسله في طريقة مع طبق من البيض واللحم.

«لقد رتبت شيئاً لنفسي، يا عزيزتي» قال.

استدارت معه ورأت أن ثورب كنغمان كان لا يزال واقفاً، متجاهلاً دعوتها له بالجلوس. أخبرتها نظرته أنه أصبح متبرماً جداً، والعداوة انبعثت من كل مسامات جلده. سواء التقط دافي العداوة أو لا فهي لا تدري، لكنها رأت الوميض الخبيث يدخل عينيه وعرفت من سنوات معرفته أنه كان على وشك أن يقوم بملاحظة ما التي تضمن بأنها تريد أن تلكم أذنيه.

«أنا سأنطلق اذن» قال مع ابتسامة بريئة باتجاه خال صوفي. عندئذ، ملتفتاً الى جانسيس. «شكراً لاستعمال سريرك - إنها أفضل ليلة حظيت بها في اجيال».

كان هناك تفسير واحد فقط كان ثورب كنغمان سيقدمه أنها، فكرت جانسيس، كانت تبارك دافي داخلياً. أطلقت نظرة الى زائرها غير المرغوب ورأت من نظرته الاحتقارية التي اطلقها اليها أنه استنتج أنها هي ودافي قد أمضيا الليلة بين ذراعي بعضهما.

مبتسمة بعذوبة، حولت نظرتها ثانية الى دافي وشهدت التعبير الكئيب الذي كان عليه مع أن لا شيء يستطيع ابعاد تلك النظرة المتلألئة في عينيه. «أرجو أن تموت ارانبك!» تمتمت بحيث بالكاد سمعها. ثم بصوت عال، «سأرافقك الى الخارج».

«شكراً على لا شيء» اخبرته عندما أصبحت معه في القاعة، الباب الى غرفة الجلوس مغلق.

«أنت لست مجنونة، أليس كذلك؟» استجوبها بسرعة. «لقد كان واضحاً تماماً ما يفكر به ذلك العجوز هناك، لذا فكرت بأن اظهر له أن لا أحد منا يكترث لرأيه. لكن اذا كان رأيه يزعجك سأذهب والقنه درساً».

«لا تكن أحمقاً» قالت، ثم ادركت انها قد تمر سنة أخرى قبل أن ترى دافي ثانية ولا تريد أن يكون هناك سبب لشقاق بينهما، «انني لا اكترث قيد أنملة لرأيه».

«واثقة؟»

«بالتأكيد» توقف دافي، محاولاً قراءة الحقيقة في عينيها. «حسناً، وداعاً، يا عزيزتي» قال، ومع تكشيرة تلميذ نظر خلسة الى الخارج، «سأحاول أن أتذكر بأن ارسل لك بطاقة بريدية من باريس!».

عائدة الى غرفة الجلوس، تمنت جانسيس أن تكون لديها أعصاب لكي تبقي ثورب كنغمان منتظراً فترة أطول حتى ترتدي ثيابها. لكن من تلك النظرة المتوترة للتبرم التي ارتداها، كانت لديها فكرة أنها اذا لم تنضم اليه بعد أن يغلق الباب الامامي، فهو قد يقوم بالبحث عنها. شعرت بالاجحاف الكافي بدونه ان وجدها مرتدية ثياباً أقل مما ترتدي.

لم يتنقل، ولم يضع الوقت عندما انضمت اليه في اعلامها بدون مقدمات، «اريد رؤية ابنة شقيقتي».

«أخشى أنك لا تستطيع»، عبثاً لكي تراوغ وتقول أنها ليس لديها دليل عمن كان يتحدث. كانت غير مدركة تماماً في مادة المعطف والخنجر التي مارستها صوفي ودعته السيد كنغمان، وهكذا هو عرف أنها عرفت من يكون هو، لقد تكرم عليها بنظرة أخبرتها أن «لا تستطيع» ليست

موجودة في قاموسه. وهو أكد ذلك.

«لا أستطيع، يا آنسة لانغفيلد؟»

«كيف عرفت أنها هنا؟» أجابت.

«هل تقولين أنها ليست هنا؟ ان لديك غرفتي نوم، أليس كذلك؟»

لم يفقد شيئاً، أليس كذلك؟ يجب أن يكون قد عد الابواب المؤدية بعيداً عن القاعة عندما ادخله دافي.

«هل هي هنا؟» سأل.

«نعم، هي هنا» كذبت، «لكنها ليست بصحة جيدة» أضافت بسرعة عندما قام ثورب بحركة غاضبة وبدأ كأنه قد انتهى من الافراط باللياقة لطلب إذنها وبدا مستعداً لتفتيش الشقة بنفسه حتى يجد ابنة شقيقته الضالة. «نحن ذهبنا الى الحفلة الليلة الماضية»، ألمحت بدون جدوى، وتمنت لو لم تفعل عندما دار حولها.

«لقد كنت هناك»، قال، مضيفاً، بقذارة هي فكرت، «واذا كنت تعتقدين انني سأترك صوفي هنا مع أمثالك، فأنت مخطئة تماماً!»

تورد وجهها عندئذ. أوه، كم تمنت لو أنها لم تذكره. هي لا تستطيع أن تلومه، بالطبع، مع أنها تستطيع أن تفعل بدون أن يستيقظ ادراكها بالعدالة لحظة. لكنها كانت مسؤولة عن ابنة الاحدى وعشرين عاماً. هل سمعت بأذنيها بعد أقل من أربع وعشرين ساعة رجلاً آخر يوعز أنهما أمضيا ليلة ممتعة جداً معاً؟ نظرة واحدة الى وجه ثورب كنغمان أخبرتها أن أي تفسير تقوم به سيكون موضع سخرية. ربما هو كان يلومها على ابتكار بقايا الماضي التي عذرت صوفي بها.

وصل صبره الى نهاية مفاجئة وسريعة. كان قد تجاوز مناقشة الكلام معها. «اخبري ابنة شقيقتي بأن تكون جاهزة، عند الظهر، لكي آخذها الى منزلي» اصدر التعليمات اليها ببرود. «واخبريها أيضاً اذا كانت لديها

أية خطة للهرب، واية فكرة كيلا تكون هنا عندما أحضر لأخذها، عندئذ سأغسل يدي منها، لكنني سأبرق في الحال لوالديها».

مسكينة صوفي، فكرت جانسيس بعد ثانية، عندما صوت اغلاق باب القاعة رن في اذنيها. يا الهي، لقد كان مجنوناً كالجحيم! لم تفكر نفسها ضعيفة النشاط، لكن عندما قصفها ثورب بتعليماته في النهاية، الاجابة «نعم، يا سيدي» التي ارادت أن تتفوه بها ضاعت تحت وهج عينيه. لقد كان الرجل وحشاً بشرياً! وصوفي المسكينة عليها أن تتحمل مشاهد كهذه لشهر كامل!

دخلت الى المطبخ لتعد كوباً من القهوة، يداها ترتعشان عندما وصلت لاعادة تسخين الغلاية التي غلاها دافي لها. اعدت قهوتها ويداها ما زالتا ترتعشان، سمعت صوت مفتاح القفل في الباب الامامي، وكانت في القاعة قبل أن تغلق صوفي الباب خلفها.

«لقد كان لديك زائر نبيل» وصلت صوفي قبلها. «متشنج، كان قريباً للسحج! انغلق باب المصعد عندما رأيت ثورب مندفعاً. هو لم يشاهدني، الحمد لله». بدون كلام، قادت جانسيس الطريق الى غرفة الجلوس. «يا الهي، تبدين شاحبة» لاحظت صوفي. «هل مسح بك الارض؟»

«انه سيعود عند الساعة الثانية عشرة - سيكون دورك عندئذ».

«هو سيكون محظوظاً» قالت صوفي، وقد ارتفعت روحها المعنوية الى السطح عندما هنأت نفسها على فقده. «سأكون بعيدة في...»

«قال بأنه سيبرق الى والديك، اذا لم تكوني هنا» قالت جانسيس، وشعرت فجأة بأنها ممهدة.

«ماذا!» صرخت صوفي. «أوه، اللعنة! هما سيوقفان نفقتي لمدة سنة إن هو فعل ذلك».

عند تناول القهوة كررت جانيس كل كلمة قالها لها خال صوفي. لم تترك شيئاً، بعيداً عن المناقشة الحادة مع فانس كتريبغ التي أساء تفسيرها ثورب كنغمان، وتركتها تفكر أن ملاحظة دافي البلهاء كانت السبب له ليفكر أنها ليست الشخص المناسب لها لكي تقيم معها.

كانت صوفي متكدرة لفقدانها رؤية دافي، لكنها كانت حانقة جداً من وصمة العار التي وضعها ثورب على شخصية صديقتها. «انني من المحتمل أن افسدك اكثر من أية طريقة أخرى» قالت بشجاعة مع أمانة ساحرة. «انني سأواجهه مباشرة عنك، يا جانسي» وعدتها باخلاص. «في المرة القادمة التي اراه فيها أنا سوف. . .»

«هل ستكونين هنا عندما يعود؟»

«يجب أن اكون، أليس كذلك؟ بعيداً عن تقصير اجازة الوالدين اذا هو ابرق اليهما، وهو لا يقول أي شيء لا يعنيه، ثم هما سيكونان ملزمين بالطيران عائدين استعداداً لوضع الامور في نصابها لحظة استلامهما لبرقيته. الوالدة لديها تلك النظرة في عينيها عندما كانا يتحدثان حول قطع نفقتي مما يعني أنها لن تدع الوالد يلين».

كانت صوفي غير قابلة للاصلاح، فكرت جانيس عندما عقارب الساعة تقدمت بثبات. ساعدتها بالوجبات المنزلية العامة، وبدت مصممة على أن تضع وجهاً براقاً عليها. كل واحدة منهما أخذت حماماً وارتدت الجينز والكنزة وساعدت صوفي في توضيب كل شيء كانت قد أفرغته بالامس.

كان ذلك خلال جولة من احاديثهما المختلفة أن أطلعتها صوفي حول كيفية اقتفاء ثورب كنغمان لأثارهما الى الحفلة. ذلك فقط حل نصف اللغز، لكن صوفي أخبرتها أنها ستطلعها على النصف الآخر حالما تكتشفه بنفسها.

«بكل وضوح، لكن لا تسأليني لماذا، لقد جاء ثورب الى شقتك للبحث عني».

«هنا؟» تعجبت جانيس، «لماذا هنا؟» تذكرت بوضوح لقاءها الوحيد معه منذ أحد عشر عاماً، لكنه لن يتذكر، أليس كذلك؟ «هو لا يعرف أنك أنت وأنا صديقتين، أليس كذلك؟» سألت السؤال بصوت عال.

«أعني، انني نادراً ما اراك هذه الايام».

«يمكن أنني ذكرت اسمك في احدى الزيارات التي سحبني فيها والداي الى منزله من وقت لآخر، على ما أعتقد» قالت صوفي بتفكير.

«نعم» وافقت جانيس، «لكنك لم تخبريه عن عنواني، أليس كذلك؟».

«من غير المحتمل» اجابت صوفي. «وذكي مثله، هو لا يحتاج لمساعدة كرة بلورية ليعرف انني دعوت نفسي للاقامة معك». كانت تفكر ثانية، ثم طردت الحيرة حول كيف وجد ثورب العنوان، فقالت، «لأعد الى ما كنت أقوله. عندما رأيت من نافذة غرفة نوم بريمروز أن سيارة ثورب قد ذهبت، اعتقدت أنني آمنة للخروج من المخبأ عند هذه النقطة أطلقت تكشيرة انعكاسية. «وهكذا عدت وانضممت الى الحفلة».

«أنت لم تعودي!» قالت جانيس، وعندما أطرقت الأخرى برأسها بخبث، «بأمانة، يا صوفي، أنت أخذت البسكويت».

«أعلم» قالت صوفي بسعادة. «على أي حال، قضيت وقتاً عظيماً. قلة منا مكثوا حتى موعد الفطور» تابعت، وكانت ستقول المزيد، فقد كشفت أنها لم تذهب الى فندق لقضاء الليلة كما فكرت جانيس، لكن يبدو أنها ادركت أن جانيس كانت متبرمة لتعرف المزيد حول كيف أن خالها اقتفى آثارهما.

«كما قلت، ثورب حضر الى هنا، وكذلك» أضافت، «فعل شخص

يدعى أدريان».

«أدريان؟ ادريان هوارد؟»

«هم م م» قالت صوفي. «من الواضح أنك جعلت قلب ادريان يتشقق. على أي حال، هو حضر الى الحفلة، وشاهد أنك لم تصلي، ففكر بالحضور اليك حال كانت سيارتك معطلة أو شيء ما من هذا القبيل».

كان واضحاً ما حدث بعد ذلك. «هو التقى خالك هنا...»

«خارج بابك»

«كلمة واحدة قادت الى أخرى...»

«ويا بريستو، المسكينة بريمروز لديها ضيفان غير مدعوان».

كان على جانسيس أن تضحك، مع أن ذلك في الواقع لم يكن مضحكاً. ليس عندما أخذت في الاعتبار رأي ثورب كنغمان بها. عندئذ تدريجياً عندما تكتكت الدقائق، كلما ازداد تفكيرها بثورب كنغمان، كلما ازداد الغضب الحارق البطيء ضده. احتاطت كيلا ترى صوفي كيفية شعورها، لكن عندما اقترب وقت الظهر اتخذت كل انواع الاحتياطات كيلا تدعه يطير عندما يصبح في مدى السمع. لقد آلمها أنها بقيت هادئة عندما نعتها ثورب بقوله «أمثالك» كم تحب أن تراه يأكل الاوساخ.

ألم الذكرى القديم منذ أحد عشر عاماً أشعل النار. لقد كرهته حينئذ. لقد تضاعف ذلك الآن. أوه، لو أن هناك طريقة ما تستطيع بها أن تسترجع ذلك اليه! ليست هناك أية طريقة، بالطبع، لكن اذا كانت هناك، ألن تنتهز الفرصة!

أثارت صوفي من جديد موضوع دافي الذي ترك أفكارها الخاصة حول ما تحب أن تقوم به نحو شخص مثل ثورب كنغمان. لكن عندما طلبت منها صوفي أن تدعها تشرح له عن دافي، احساس ما، وربما كبرياء

مقلوب الذي قال اذا هو اراد أن يفكر نحوها هكذا، فدعيه يفعل، فكان قولها، «لا».

«هل أنت واثقة؟» سألت صوفي. «أعني، هو سيشعر بكل انواع القذارة ليقفز الى الاستنتاجات الخاطئة، أليس كذلك؟ أوه، دعيني أخبره»، يا جانسي. سيكون جميلاً رؤية وجهه».

«انني أفضل أن لا يعرف» قالت جانسيس بحزم. حتى لو أخبرته صوفي، فلا تزال هناك مناقشتها الحادة مع فانس كترنيخ غير المحسوبة، ورجل واحد أقل لن يجعل ثورب كنغمان يفكر بطريقة مختلفة نحوها.

«حسناً» وافقت صوفي عندئذ، وتكشيرتها الشيطانية جاءت الى المقدمة، «يجب أنك تستمتعين بمرحلة المرأة المتوردة».

«استعدي للقاء يوم القيامة» قالت صوفي، مع أنها لم تكن تبدو بشوشة عندما حاولت أن تبدو.

«سأنتظر في غرفة توم ويليام» قالت جانسيس، لا تريد أن ترى ثورب كنغمان ثانية. «يمكنك أن تأتي وتقولي وداعاً عندما تدخلين لأجل حقائبك».

«أوه، يا جانسي، لا تتركيني وحيدة معه. سأسكن معه لمدة شهر» ناحت صوفي، وبدت على وشك البكاء. «على الاقل امكثي معي حتى اذهب».

كانت صوفي دائماً سريعة البكاء بارادتها. لكن حتى هكذا، فان فكرة شهر للفتاة المسكينة أمامها قد خففت من قرارها، غير واثقة من ردة فعلها، لتضع نفسها بعيداً عن متناول لسان ثورب كنغمان اللاذع. ترددت وجرس الباب رن ثانية.

«من فضلك!» توسلت صوفي، وانهمرت دمعة على خدها.

«أوه، حسناً» قالت، ليس بنفس الرشاقة التي اعتادت عليها.

مسحت صوفي خدها، وبطريقة سحرية جفت دموعها. تحولت جانيس عنها وخرجت الى القاعة. احتاج الأمر الى نفس هادىء عميق قبل ان تفتح الباب.

مرتدياً كالسابق، في سروال وكنزة، وقف ثورب كنغمان هناك. بدون أن يقول كلمة اندفع الى القاعة، ومع شفتيها مغلقتين باحكام، تركته جانيس يلحقها.

«هاللو، يا ثورب» قالت صوفي بصوت أجش عندما دخل الى غرفة الجلوس. عندئذ، مع سحر ندر من يقاومه، مع أن خالها بدا محصناً، قالت، «لقد كنت فتاة شريرة، أليس كذلك؟».

غير قابلة للاصلاح لم تكن العبارة، فكرت جانيس، مع أنها لم تستطع أن تعجب بعمل صوفي في وجه الاستياء القاسي الذي جاء في طريقها.

«هل أنت مستعدة؟» سأل، بالصوت الذي قال الويل يكمن لها اذا لم تكن. نظر حوله. «هل لديك حقيبة في أي مكان؟».

«لدي صداع» قالت صوفي، فنظر اليها، مع أن هذه كانت المرة الأولى التي يذكر فيها الصداع، ورأت جانيس أنها كانت فعلاً مخفقة. كان تعاطفها في طريقه، فاستردته، وعضت شفتها في جهد كيلا تبتسم. لا عجب فان صوفي بدت مخفقة، متعت نفسها كثيراً في الحفلة، وهي لم تنم بعد.

«وأنا كذلك لدي صداع» قال الخال القاسي. «إنه يسير بجانب اسم صوفي ابلنغتون. حبتان من الاسبرين ستزيلان صداعك، أما صداعي فلن يشفى حتى انتهاء الاسابيع الاربعة القادمة».

بدهشة، رأت جانيس أن صوفي كانت مسلية بدعابة خالها الشيطانية. «أنا في الواقع لدي صداع» أخذت تئن، وادارت وجهها بعيداً

عنه. «هناك وباء انفلونزا منتشر. هل تعتقد أنني يمكن أن اصاب بالانفلونزا؟».

لكونها متجاهلة لغاية الآن، تقدمت جانيس. رأت ماذا كانت لعبة صوفي. اذا استطاعت أن تقنعه بأنها مصابة بالانفلونزا، ولا تريده أن يتزعج بوجود مريضة في منزله، فهو قد يأخذ بعين الاعتبار تركها لديها الراعيتين. لاحظ ثورب كنغمان أنها اقتربت من ابنة شقيقته، لكن بدون كلمات لكي يضيعها عليها.

«لا، لا أعتقد أنك مصابة بالانفلونزا» قال بصلابة. «الشيء الوحيد الخاطىء معك، أيتها السيدة الشابة، هو عائق بحجم مارد، ومما رأيت فقد كنت غارقة في تلك الحفلة الليلة الماضية، ويدهشني انكما لا تضعان كيسي ثلج على رأسيكما. لكن هناك بعض الناس معتادون اكثر على مقارعة الكأس ليلة بعد ليلة وقد أصبحوا محصنين ضد التأثيرات».

لقد كان مدركاً تماماً أنها كانت لا تزال في الغرفة، وأن تحوله السريع كانت هي المقصودة به، فانفجر الغضب بداخل جانيس. «إنني أنا المندهشة، يا سيد كنغمان» صرخت ببرود بينما هي كانت غاضبة. «في الحقيقة كان يجب أن لا أقول انني مندهشة، بل مصدومة. كيف حصلت على الانطباع لا استطيع أن أفكر، لكنني نوعاً ما اكتسبت الفكرة بأنك كنت فاضلاً جداً ليكون لديك عائق، أقل بكثير لتعلم أن كيس الثلج يمكنه أن يعطي بعض الراحة».

قتلها ثورب كنغمان بنظرة، ثم تجاهلها وحول انتباهه ثانية الى صوفي. «لقد أضعت ما يكفي من الوقت. أين هي حقيبتك؟»

«في غرفة النوم. سأحضرها» قالت، ووقفت. «اووه!» شهقت، وترنحت باتجاهه. «اوه، يا ثورب، انني فعلاً أشعر بشيء غريب!».

الغضب المتقد الذي اختبرته جانيس اختفى، ورعب أمسكها عندما

رأت كيف شحب وجه صوفي. شاهد ثورب كنغمان هلعها أيضاً، وكلاهما توحدا فجأة في مساعدة صوفي لكي تجلس ثانية.

«إنه لا يبدو لي من تأثير الشرب» قالت جانسيس، لنفسها أكثر من أي شيء.

«انني لم اكن بصحة جيدة في اليومين الأخيرين» قالت صوفي بصوت رفيع، «يبدو أن حلقي متقرح».

غير واثقة اذا كانت محتالة ـ فقد كانت على ما يرام منذ حوالي عشر دقائق، تذكرت جانسيس ـ مع أن المرء لا يستطيع تغيير لون ملامح المرء فقط هكذا، أليس كذلك؟ ـ ذهبت مسرعة للاسبيرين وكوب ماء عندما عادت، كان ثورب كنغمان هو الذي أخذ الكوب والاقراص منها وأعطاهم لابنة شقيقته.

«سأكون على ما يرام حالما التف في السرير» قالت صوفي بشجاعة.

«سأقود بسرعة حسبما تسمح الظروف» قيل لها.

جفلت صوفي، لكن سواء كان ذلك لأن رأسها كان يطرق، أم سواء كان ذلك لأنها كانت تدرك أنه، مريضة أم لا، هو كان لا يزال مصراً على أخذها معه عندما يغادر، لم تكن جانسيس واثقة. عندئذ قالت صوفي شيئاً ما الذي قطع انفاسها حتماً، وهي شعرت أنها تجفل أيضاً لدرجة أن صديقتها يمكن أن تكون هكذا متوحشة لكي تقترح مثل هذا الشيء.

«هل تستطيع جانسي أن تأتي معنا للاعتناء بي؟» سألت، صوتها هزيل. «ان لديها يدين باردتين جميلتين».

رفعت جانسيس يديها في الحال عن جبهة صوفي. مع ذلك بعد تلك الصدمة الاولى من كلماتها ادركت أنها ليس لديها شيء لتقلق عليه. ثورب كنغمان لا يريدها في منزله اكثر مما ارادت هي أن تذهب الى

هناك. لن يقبل فكرة السماح لنوع الفتاة التي اعتقد أنها كانت لكي تجتاز عتبة منزله. مع ذلك، قد يكون مهماً أن ترى كيف سيتصرف. لقد تركته كي يجيب على صوفي.

«لا يمكنك أن تتوقعي من صديقتك بأن تترك كل شيء في لحظة» اخبرها، بدون ان ينظر مرة واحدة باتجاه جانسيس.

«أنت لا تمانعين، أليس كذلك، يا جانسي؟» رفعت صوفي عينين مليئتين بالدموع لكي تتوسل اليها.

«من المحتمل جداً أن الآنسة لانغفيلد لديها دفتر مليء بالارتباطات» قال، بدون أن يعطي جانسيس الوقت لكي تجيب.

نظر اليها عندئذ وهجمة من فرحة عارمة غمرتها بأنه كان يتلوى عندما حاول، ببراعة امام ابنة شقيقته، الانسحاب من قبولها كضيفة في منزله.

لم تستطع أن تأمل لكي تخفي أن عينيها الخضراوين كانتا ترقصان بفرحة، مع أن بقيتها كانت باردة للغاية عندما وردت فترة صمت متعمدة، عالمة أن كلاهما كان بانتظارها لكي تجيب ـ شخص يريد أن يسمع بأنها ستذهب، والآخر واثق بأنها ستدعي بأنها ستكون مشغولة جداً اجتماعياً لكي تذهب معهما.

كان توقيتها كاملاً، فنظرت من ثورب الى نظرة صوفي المتوسلة، ومن ثم، محاولة بأن لا تضحك عندما تصورت كيف سيكون تأثير كلماتها عليه، فقالت:

«ليس لدي شيء مخطط. واذا كانت صوفي المسكينة مصابة بالانفلونزا، فعندئذ أنا في الواقع أفكر بانني يجب أن اكون الفتاة التي اشرف على تمريضها. بعد كل ذلك، لماذا الأصدقاء؟».

تركت ذلك هناك، وكبتت بقسوة ضحكة لعلعت بداخلها عندما نظرت ثورب «لينسحب من ذلك» بالطبع ليست لديها أية نية للذهاب

داخل ميل من منزله. لكن أوه، المتعة في مراقبته يتلوى! راقبت الشكل الثلجي في عينيه، ورأت تلك العينين الثلجيتين تضيقان عندما درس عينيها الواسعتين، ووجهها العذب البريء. لكنها كانت تستمتع كثيراً بالشعور باصابة هدف، ولو كان صغيراً، ضده لكي ينزل من عليائه.

«في تلك الحالة» قال، وهي لا تزال تفاخر بسعادة لتكون حذرة، «إنه ليسعدني أن تكوني كضيفة في منزلي».

«ماذا!» التعجب الخائف خرج قبل أن توقفه، وسلوكها البارد تمزق «لكن...» هو لم يكن جاداً؟ لا يمكن أن يكون؟ مع ذلك عرفت أنه كان. وعرفت أيضاً بأنه أحس أنها قد اعلنت الحرب عليه، كان لديه ضوء معركة في عينيه على اي حال. وأيضاً، عندما تأملت ملامحه المتغضنة، عرفت أنه دخل الكمين الاول وخرج منتصراً.

«هل هناك خطأ ما؟» استعلم، ونظرته تغيرت الى ساخرة، «هل تذكرت فجأة ارتباطاً ضاغطاً؟».

اوه كم هي تمنت أن يكون ذلك في طبيعتها لتبتعد عن القتال. «لا أبداً»، قالت، واستطاعت الحفاظ على صوتها هادئاً بينما كانت داخلياً تغلي بغضب محبط. تهانيها الذاتية لتبدأ بالتنحي تدريجياً عن الهدف الذي كان عليها أن تسويه معه، رأت، أنه كان قديماً جداً. «لقد كنت فقط أتعجب حول الغاء الحليب ـ وذلك النوع من الشيء».

لم يرف له جفن بأن دعوته غير المرغوبة قد قبلت، مع ذلك هو ادار رأسه لينظر الى صوفي ـ ربما، قدرت جانيس، للتحقق اذا هي في الواقع كانت مريضة كما زعمت لتكون.

نظرت اليها أيضاً ورأت أن صوفي قد اراحت رأسها على جانب كرسي، نظرة من البراءة الناعسة حولها، والتي كانت فقط بريئة جداً لتكون صادقة.

الفصل الرابع

كانت جانيس لا تزال تغلي عندما وجه ثورب كنغمان سيارته الى خارج لندن بعد نصف ساعة. الأمور لم تساعد بتاتاً بحقيقة أن صوفي الناعسة العينين، كانت قد بدت أفضل، قد اعلنت اذا بامكانها أن تأخذ المقعد الخلفي لنفسها كي تستطيع أن تتمدد وترتاح اكثر بتلك الطريقة. ذلك يعني أن عليها أن تجلس في المقعد بجانب الرجل الذي، بعيداً عن طلب الاذن في شقتها كي يتصل بمديرة منزله لتعد غرفة لها، لم يقل لها كلمة أخرى.

قاد بسرعة وبصورة جيدة. وكرهت ذلك حوله أيضاً. كرهت أن كل شيء يقوم به يبدو أن لديه جواً من الثقة حوله. دخلت صوفي أيضاً بعض غضبها، ملفوفة كما كانت في المؤخرة تنام كطفلة مع لا شيء على ضميرها. كانت مغطاة ببطانية أحضرها ثورب وتريح رأسها بارتياح على مسند من الشقة. كلاهما كان لهما يد في تدليلها، وكانت جانيس

تزداد غضباً واثقة أن لا خطأ معها وأن نوم ثماني ساعات لن يعالج.

كانوا تقريباً على مرأى من قرية أبوتس هانلي حيث منزل ثورب قبل أن تبرد كفاية لكي تسمح لادراكها بلعب دور لتخفيف غضبها. صوفي كانت فقط صوفي. لم تكن مختلفة عن رزمة من الديناميت التي تكونها دائماً. صوفي كونها صوفي كانت السبب بأن يكون كل شخص مغرماً بها. وفي الواقع لا تستطيع جانيس أن تلومها في عدم رغبتها بأن تكون منغلقة ووحيدة مع خالها الذي لا يحب المرح حتى يعود والداها.

أما بالنسبة الى ثورب كنغمان، الرجل السيء الطباع بجانبها الذي ظهر أنه أقسم على الصمت ـ حسناً، ماذا كانت تتوقع؟ تحدته، وكانت واثقة أنه سيتفادى ذلك التحدي ووجدت لحسابها أنه قد وضع جانباً مشاعره الشخصية نحوها وقد وافقها على تحديها.

لا تحبه الآن اكثر مما كانت في البداية. لكنها أخذت نظرة أو اثنتين مختلستين اليه وهو يقود، ورأت من تلك الذقن العدائية التي تشبكها فقط من رجال أمثال ثورب كنغمان اذا كنت واثقاً أنك تحمل أربع آسات. ليس ذلك أنه ستتوقف عن محاولة النيل منه اذا سنحت الفرصة، فالاهداف التي عليها تسويتها معه تزداد.

عندما انعطفت السيارة الى الطريق العام الذي أخبرها أنهم قد وصلوا الى المكان المقصود، أطلقت نظرة اليه. كان شعره كثيفاً، أسود وقصه قصيرة كأنه كان مصمماً على تحدي ميله للتماوج، وللغرابة وجدت نفسها تراجع رأيها السابق لليلة الماضية بأنه لم يكن حسن الشكل. كان هناك بكل تأكيد شيء ما حوله الذي... بسرعة حولت عقلها بعيداً عن مثل هذه الافكار المعقولة. لقد كان عدواً ـ وليس لديه شيء جميل حوله.

توقفت السيارة أمام منزل زاحف كبير حيث سيدة نشيطة في حوالي

الاربعين، فكرت جانيس، نزلت بخفة الدرجات الحجرية. كانت قد خرجت من السيارة، سعيدة لتكون متحررة من ذلك الصمت العابس، عندما وصلت اليهم مديرة المنزل وقدمت باسم السيدة همنغز.

الوجه المستدير للسيدة همنغز ابتسم اليها عندما مدت جانيس يدها، ثم أشرق الى صوفي النائمة، التي ايقظها خالها.

«من الجميل أن تكون هناك سيدتان صغيرتان في المنزل!» تعجبت، وتقدمت في حال كانت صوفي بحاجة الى مساعدة.

«صوفي تشرق في أي مكان» اجابت جانيس لسانها في خدها، ولم تفقد نظرة ثورب الحادة التي القاها في طريقها عندما وصله أنها كانت توعز أن الحياة في وايدفيلد مانور يجب أن تكون مملة.

لقد أسعدها لتفكر بأنها اهملته، لكنه كان لديه خط رفيع خاص به في تجاهلها. لم يضع الوقت في ادخالهما الى الداخل، واخبرها بأن تترك الحقيبتين الثقيلتين اللتين عبأتهما عمداً لكي يهتم بهما.

تركهما عند أسفل السلم، والسيدة همنغز اخذتهما الى غرفتيهما. ربما هو ذهب ليغرق احزانه، فكرت جانيس بفرح، وهي فقط اوقفت نفسها عن تصفير لحن مرح عندما جدت في أثر السيدة همنغز، التي وضعت ذراعاً حول خصر صوفي عندما ساعدتها الى غرفتها.

«أناسأساعدصوفي الى سريرها اذا شئت» عرضت جانيس، عندما رأت أن ذلك كان الافضلية الاولى لمديرة المنزل، وفكرت أنه مع ضيفة اضافية لم تتوقع أن السيدة همنغز ربما لديها واجبات منزلية اخرى تريد القيام بها.

«لا بأس، يا آنسة لانغفيلد» أخبرتها السيدة همنغز بابتسامة. «لقد كنت في مستشفى قبل أن ترغمني الظروف على التخلي عن التمريض، وأنا استمتع بوضع تدريبي قيد الاستعمال».

لم تخبرها السيدة همنغز عن الظروف التي ارغمتها على التخلي عن التمريض، لكن جانيس كانت حينئذ مذهولة جداً لكي تظهر الاهتمام. بحق السماء ماذا تفعل هي هنا اذا كانت السيدة همنغز ممرضة حكومية مسجلة؟ عرفت أقل من لا شيء حول تمريض الانفلونزا اذا كان ذلك في الواقع هو الخطأ مع صوفي. وهي لديها فكرة أن ثورب كنغمان أنها كانت غريبة على التمريض وراء لمس الجبهة واعطاء اقراص الاسبرين، مع ذلك هنا في منزله الخاص لديه ممرضة مؤهلة! يجب أن يكون قد عرف بمؤهلات مدبرة منزله أيضاً، حيث أن اللوحات الثمينة التي شاهدتها في طريقها الى الطابق العلوي تعني بكل تأكيد انه أخذ مراجع لأي شخص في خدمته.

«آسفة لتركك تنتظرين» اعتذرت السيدة همنغز، ولفت صوفي الناعسة بحزم في السرير. «لقد بدت الآنسة ايلنغتون بحاجة الى سريرها، لذا اعتقدت من الافضل أن تستقر أولاً. اذا سمحت بالمجيء معي، فسوف آخذك الى غرفتك. لقد اعددت غداء خفيفاً في غرفة الطعام».

لا شيء، فكرت جانيس، سيجعلها تنزل الى غرفة الطعام بينما صوفي في السرير. تفضل أن تجوع بدلاً من الجلوس الى مائدة برفقة ثورب كنغمان. كانت السيدة همنغز في طريقها الى الباب عندما أخبرتها أنها ليست جائعة. لحقت بها، استدارت جانيس لتلقي نظرة اخيرة على صديقتها، تنوي لتقول لها بأنها ستراها لاحقاً، لكن الكلمات ماتت على شفتيها عندما رأت صوفي، مع عين حذرة على ظهر السيدة همنغز المغادر، وفجأة حولت نظرتها اليها ومن ثم، حركت فمها بتعبير الى غمزة جانبية.

بأمانة، لقد كانت صوفي هي الحد! فكرت، وابقت فمها ثابتاً عندما شفتاها انحرفتا الى أعلى عندما ذهبت مع السيدة همنغز. أحياناً تجعلها

صوفي غاضبة، وكان ذلك مقلقاً اذا أنها لم تستطع منع رغبتها في الضحك. حسنما ارتابت، لم يكن هناك من خطأ معها بل اعياء، وذلك ليس مدهشاً تماماً حيث أن السرير الذي ترتاح فيه الآن، كان المرة الاولى التي تكون فيها في سرير بعد مغادرتها لمنزل والديها بالأمس.

الغرفة التي أخذت السيدة همنغز جانيس اليها كانت نفس الشيء كغرفة صوفي. كانت غرفة كبيرة، منيرة وكثيرة الهواء، وفيها خزائن على كل جانب من طاولة الزينة. حقائبها احضرت عندما كانت في غرفة صوفي، وتعجبت أي من الثياب العديدة التي احضرتها معها لكي تفرغها، فقررت تفريغها جميعاً. بتلك الطريقة، اذا دخل ثورب ونظر في الخزائن، مع أنها طوال حياتها لا تستطيع أن تفكر بأنه سيفعل، وهو سيراها عليها اذا طالت اقامتها.

تلك الفكرة جعلتها تتعجب كيف تستطيع أن تختصر اقامتها بدون أن تبدو كأنها تغادر عند أول فرصة. عليها أن تبقى الليلة على أي حال. لكن اذا كانت صوفي لديها أي فكرة حول مرض طويل، فعندئذ يجب على صوفي أن تفكر ثانية.

لكن عندما ذهبت لترى صوفي بعد عدة ساعات، بدأ الوقت يتعلق متثاقل على يديها مع انتهاء تفريغ امتعتها، والكتاب الذي احضرته معها عجز عن نيل اهتمامها، ولم يعد هناك مجال للتفكير بأن عليها أن تنزل الى الطابق السفلي وتضع نفسها في صحبة ثورب كنغمان، فاكتشفت ان صوفي قد تعبت من كونها مريضة. عدة ساعات من النوم كانت كل ما تحتاج اليها صوفي لتعود الى قمة نشاطها وكانت الآن مستيقظة.

«الحمد لله أنك جئت!» تعجبت. «انني لم أجرؤ على الخروج من السرير والحضور للبحث عنك في حال كان ثورب في أي مكان قريب. لقد كنت أفكر في القاء حذاء على الحائط اذا كان ذلك سيحضرك».

«انني لست في الغرفة المجاورة» اخبرتها جانسيس.

«اوه حسناً، أنت هنا الآن. هل أنت مجنونة معي؟».

«يجب أن اكون» قالت جانسيس مع محاولة من الشدة.

«لكنك لست مجنونة. حسناً. لقد شعرت بدوار في اللحظة التي عدت فيها الى شقتك» قالت صوفي في محاولة لملاطفة صديقتها بتعبير وقور، عندئذ مع تلك الامانة التي لا تفشل السحر، «لكن ذلك كان فقط لأنني كنت في الخارج على القرميد طول الليل. يجب أن اكون قد رقصت عشرين ميلاً!».

حاولت جانسيس أن تأخذها للعمل للطريقة التي ورطتها في خططها، لكنها وجدت أنها لا تستطيع أن تكون جادة معها لفترة طويلة، لأن صوفي بكل بساطة رفضت أن تأخذ أي شيء على محمل الجد وجعلت كل اعتراضاتها لاقتراحها بأنها رافقتها الى وايد فيلدس مانو تبدو حقيرة جداً لو أنها كانت فعلاً مريضة.

«لقد فكرت، عندما أخبرتني أن لا أقول له الحقيقة عن دافي أنه كان هناك إبرة بينك وبين ثورب» قالت صوفي بتكامل. «لقد فكرت أن بروحك المعنوية ستنتهزين أية فرصة ضده». عيناها لمعتا بفرحة. «ا... كان يتوجب عليك أن تحاولي حشره في زاوية بالطريقة التي قمت بها. مع ذلك، يا جانسي، بتلك الطريقة من التحدي أخبرته بأن لا شيء يمنعك من المجيء معنا».

«ألا يجب أن أفعل؟».

«لا» زمجرت صوفي. «مع ذلك ربما كان يجب أن أحذرك أنك تتم... عندما تخترقين ثورب، فان لديه الحيلة المهلكة لعكس الوضع، وأنت التي ستكون فوق البرميل. وبينما ما زلت تتعجبين ما هو الخطأ، فسوف تجدين أنك أنت التي ترقص على برميل المتفجرات وأن خالي هو الذي

سوف يشد الحبال».

تسلت جانسيس حول ما قاله صوفي، وتكره فكرة أن تكون ألعوبة اي شخص. اعترفت صوفي أنها عرفت بأن هناك إبرة ما بينها وبين ثورب، مع ذلك هي سألت اذا بامكانها المجيء وتمريضها عالمة أنه لن يكترث للفكرة. لقد عرفتها صوفي جيداً، وعرفت أنها سوف تتحداه عندما حاول التنصل من الدعوة. ومما أخبرتها به لتوها، عرفت جيداً ان ثورب كان تداً ليبلط بها الارض.

«أنت عمداً نصّبتني، أليس كذلك؟» اتهمتها بصلابة. وعندما حاولت صوفي أن تبدو نادمة لكنها فشلت، «أنت مولعة بايذاء الناس!» أضافت باحساس.

«لا تغضبي مني، يا جانسي» توسلت صوفي، وبذلت جهداً لكبح تكشيرة، «انني فقط صغيرة» عرفت جانسيس أنها كانت تحارب معركة خاسرة بالبقاء غاضبة معها. «امكثي هنا وتناولي العشاء» حثتها صوفي. «يمكنك أن تساعديني في ابتكار سبب ما للشفاء المفاجيء. انني لن أبقى في السرير غداً. ذلك مؤكد».

قبل أن تستطيع أن تجيب أنه في نظرها صوفي ستكون أقل احتمالاً بأن تضع نفسها أو اي شخص آخر غير مرتاب في أذية إن هي بقيت في السرير حتى عودة والديها، وفتح الباب ودخل ثورب. كان قد استبدل ثيابه الى طقم رمادي داكن، وقام بمظهر تحية جانسيس بأدب قبل أن يوجه اهتمامه الى ابنة شقيقته.

«كيف حالك الآن؟» استعلم، وعيناه تتفحصان وجهها، لكن ملامحه غامضة.

«اوه، أفضل بكثير، يا ثورب» قالت صوفي بهدوء. «لقد ذهب صداعي، ولم يعد يؤلمني لأبتلع المزيد من الاقراص».

«يجب أن يكون شيء ما في الهواء هنا قد أثر على العلاج التلقائي» تمتم، وجعل جانسيس ترتاب بأنه لم يصدق لحظة كذب ابنة شقيقته حول الانفلونزا.

اذا كان قد عرف أنه ليس هناك خطأ معها، فبحق السماء لماذا اذن هو وافق على وجوب مجيئها لكي تعتني بها؟

«نحن سنرى كيف تشعرين بعد قضاء عدة أيام في السرير» تابع، بدون أن يفقد، كانت واثقة، الطريقة التي فتحت بها صوفي عينيها عند الاقتراح.

لكن كل ما قالته كان خاضعاً، «نعم، يا ثورب» عندئذ ادار انتباهه الى ضيفته الاخرى غير المطلوبة.

«هل غرفتك مريحة؟» استعلم بأسلوب المضيف الكامل، عيناه تستوعبان التقاطيع الجميلة لبشرتها.

«نعم، اشكرك»، اجابت، بأسلوب الضيفة الكاملة.

«حسناً» قال باختصار، وهو في طريقه الى الباب. «انني سأخرج لاحقاً هذا المساء، لكنني سأتعشى في المنزل. ربما تنضمين لي في غرفة الاستقبال لتناول شراب قبل الأكل».

لم تستطع الا أن تعجب بالسفسطائية الناعمة لدعوته لكي تتعشى معه، لأنها لا تريد أن تعجب بأي شيء حوله.

«هل تمانع كثيراً اذا رفضت؟» سألت، وبدون أن تنتظر جولته من الاطراء، تابعت، «اذا لم يكن هناك أي ازعاج للسيدة همنغز فقد فكرت بأن أتناول العشاء هنا مع صوفي».

انفجرت صوفي بالضحك عندما ذهب ثورب، بدون أن تفقد تلك الشرارات التي كانت تحت السطح من الكياسة التي تحدثا بها هو وجانسيس مع بعضهما.

«لقد اعجبت دائماً بروحك المعنوية، يا جانسي» قالت، «لكنني أتخيل انك اتخذت موقفاً قاسياً هناك».

«نحن كنا مؤدبين تماماً» اجابت جانسيس، تريد ترطيب فكرة صوفي بأنها هي وخالها كانا عند طرفي خنجرين مسحوبين. لم تستطع صوفي أن تكون واثقة لتركهما يتقدمان في حربهما الخاصة.

لا تريد خلق مزيد من العمل الاضافي للسيدة همنغز، عرضت أن تنزل لنقل صواني وجبتها فقط لتخبرها صوفي أنه بالاضافة الى ان السيدة همنغز لديها مساعدة كارول، الفتاة التي تأتي من القرية في الصباح، فان ثورب قد رتب للسيدة كرافن للمجيء باكراً في المساء عندما يكون لديه جماعة مقيمون.

هكذا كانت الحالة، وكان ذلك بعد أن دخلت السيدة كرافن لجمع اطباقهما المستعملة، عندما كانت صوفي تستخرج معلومات من جانسيس عن بعض الاشخاص الذين التقتهم في الحفلة الليلة الماضية، أن قالت صوفي فجأة:

«أوه النجدة! لقد نسيت. لدي موعد الليلة».

بالنسبة لما استطاعت ان تراه جانسيس، لم تكن تبدو متكدرة جداً حول ذلك، وحيث أنها نسيت بأن لديها موعداً، فالرجل المذكور لم يكن بتلك الاهمية لها.

استشارت صوفي ساعتها. «التاسعة إلا ربعاً» أعلنت. «أعتقد أنه قد قادر لكي يأخذني عند شقتك».

«شقتي!»

«ام م م. لقد التقيته في الحفلة. اعتقد ان باستطاعتي محاولة الاتصال به هاتفياً» قالت، وعيناها ذهبتا الى هاتف النوم. «لو انني عرفت رقمه..» ضحكت بخفة. «لو انني عرفت اسمه الثاني لساعدني ذلك

أيضاً. ربما تعرفينه، يا جانسي. طومي شيء ما أو آخر. شعر زنجبيلي...»

«طومي ميللر» اجابت جانسيس، وعندما نظرت صوفي اليها بترقب، «آسفة، ليس لدى دليل حول رقم هاتفه».

«يجب أن يكون لدى ثورب دليل هاتف لمدينة لندن. انزلي واحضريه، إنه هناك يا حبيبتي» حثتها صوفي. «أنت قد تتعرفين على عنوانه وانه فقط سلوك حسن أن تحاولي وتتصلي به. ثورب يكره السلوك السيء» لم تلاحق سبباً تستطيع أن تراه جانسيس.

لكن لم يكن ذلك هو الذي اذهلها، أو حقيقة أن تكون ضيفة للشخص الذي يبدو أنه يضع قيمة عالية للسلوك الحسن. ما اذهلها هو أنه كانت هناك نغمة مؤكدة من المحبة في صوت صوفي عندما تكلمت عن ثورب.

«لقد اعتقدت انك لا تحبينه ـ أعني، ثورب» قالت مأخوذة الى الوراء.

«أنا لم أقل ذلك!» شهقت صوفي. «هو عظيم معظم الوقت. انه فقط هذا المنزل مع ادواته الاثرية التي لا استطيع تحملها. ذلك، بالاضافة الى حقيقة أنه يبعد أميالاً عن أية اشارة للحياة» بالغت، «أضيفي الى ذلك حقيقة أن ثورب لا يتحمل مسؤولياته بخفة وانني اذا اردت أن أخطط للخروج وأنا هنا، فعندئذ أعلم قبل أن أبدأ بأنني سوف انتهي في مشكلة مميتة» توقفت لكي تحفزها، «اذهبي واحضري ذلك الدليل، يا جان، فنحن نضيع الوقت».

كانت جانسيس تفكر عندما نزلت السلم، متعجبة كيف حصلت على ذلك بطريقة خاطئة. حاولت أن تتذكر أي شيء قالته صوفي لكي تعطيها الانطباع الذي تلقته بأن صوفي، مثلها، تفكر أنه كان كريهاً. بكل تأكيد قالت أن عليها أن تسكن معه لمدة شهر، موعزة بذلك أنه ليس هناك

حب ضائع. لكنها رأت عندئذ أن ما كانت تعنيه صوفي في الواقع كان أنه سيكون عليها أن تسكن مع ثورب يتنفس على عنقها في كل مرة تأخذ فيها خطوة خارج الخط.

كانت قد فكرت بأن ثورب سيكون قد خرج الآن، كانت جانسيس قد وضعت قدماً على الدرجة الآخيرة عندما فتح الباب العريض للقاعة وامرأة شقراء جميلة جداً في حوالي الثلاثين تقدمته من الغرفة. أوه اللعنة، فكرت، لقد فات الاوان لتندفع متراجعة الى الطابق العلوي وتعود بعد بضع دقائق، فقد شاهداها. نزلت الدرجة الأخيرة ووقفت في القاعة عندما ثورب ورفيقته تقدما اليها.

لمرة واحدة من المرات القلائل في حياتها اختبرت شعوراً بالقصور عندما التقطت الشقراء السفسطائية تعطيها اختباراً سريعاً. شعرت مثل صبي الشارع في الجينز والكنزة مقابل معطف الفراء الذي يغطي الثوب الطويل للمرأة الأخرى. لقد كان واضحاً أنهما كانا في طريقهما الى الخروج، وكان واضحاً أيضاً أن ثورب لم يكن ينوي أن يتعشى ثنائياً معها. كانت الشقراء شريكته على العشاء، لذا كانت ستكون ثالثة غير مطلوبة.

قدم ثورب الشقراء باسم ايلين فوربس، وعلى وشك أن تمد يدها، رأت جانسيس أنها ليست لديها نية للمصافحة. فكرت بأنهما زوجين متناسبين تماماً، فذهبت وتجاوزتهما. اذا كانت مصيبة فان المطبخ يقع الى اليمين، وهي لا تريد أن تبقى في القاعة تبحث عن دليل الهاتف وهما لا يزالان هناك.

«هل يمكنني أن أساعدك بأي شيء؟» سأل ثورب، وجانسيس تمنت لو أنه لم يفعل، لأنها لا تريد منه شيئاً، سوء مساعدته أو حسن سلوكه كمضيف.

«انني - ابحث عن السيدة همنغز» تمتمت.

«السيدة همنغز ستعتني بزوجها المعاق في هذه اللحظة» أخبرها، ثم عندما جاء صوت متبرم من ايلين فوربس، التفت اليها واخبرها بهدوء، «لن أتأخر لحظة، يا ايلين، وربما ترغبين بالانتظار في السيارة» انتظرها حتى خرجت من الباب، ثم سأل: «الآن، ما هي المشكلة؟»

«ليست لدي مشكلة» صرحت جانيس ببرود. «اريد اجراء مخابرة هاتفية، فقط نسيت الرقم».

«اذن أنت تبحثين عن دليل الهاتف» سألها، ثم سار مبتعداً عنها ليفتح خزانة تحت طاولة الهاتف. «أي واحد تريدين؟» سأل، منحنياً.

«لندن من فضلك، لحرف الميم» قالت، محاولة أن تبقى باردة عند النظرة الفاحصة التي اعطاها اياها.

«هل تفتقدين اصدقائك، يا جانيس؟» استعلم بسخرية واستفهام، والدليل في يديه. عندئذ تغيرت نغمته، اصبحت قاسية. «فقط لا تحاول افساد ابنة شقيقتي بوجودك هنا» قال متوعداً، وسوف، فكرت، تقول المزيد، فقط طبعها حلق وهي لم تفكر بالبقاء والاستماع.

عيناها الخضراوان ومضتا، فخطفت الدليل منه واندفعت تصعد السلم. لو أنها بقيت ثانية أخرى لصفعته، وعرفت بأنها ستفعل. لا تحب تلك الملاحظة اكثر مما أحبت استعمال اسمها الاول. لم يتزعج لاخفاء حقيقة أنه فكر أنها كانت في لندن ستمضي هذه الأمسية بنفس الطريقة التي فكر أنها كانت أمضت الليلة السابقة. لن يستغرق طويلاً الوقوف هناك واطلاق النار عليه. لكن ذات يوم، فكرت، ذات يوم ستسوي الامور معه!

«أوه، حسناً، لقد احضرته» قالت صوفي حالما دخلت الغرفة.

انتظرت جانيس طويلاً فقط لتساعد صوفي في ايجاد رقم الهاتف

الصحيح، ثم سألت اذا كانت لا تمانع لو هي ذهبت الى الفراش.

«أنا نفسي أشعر بالتعب ثانية الآن» أعلنت صوفي، مسترخية في تثاؤب. «أحياناً أفكارك لا تكون سيئة، يا جانسي».

تحركت جانيس، وفتحت عينيها، ولاحظت أن كوب الشاي قد ادخل، وربما بواسطة كارول التي تحدثت عنها صوفي، ثم مع الفكرة للنزول لخمس دقائق أخرى، أغمضت عينيها. لكنها لم تسنح لها الفرصة لخمس دقائق أخرى، لأن الباب فتح ودخلت صوفي الى الغرفة.

«لقد حل اللغز» أعلنت، وبدت جميلة في فستانها المذهب وتقدمت لكي تجثم على حافة السرير.

«اللغز؟» رددت جانيس، ولم تكافح بعد بنجاح مع صوفي الغائرة، مع أنها حاولت لكن ذلك عندما وضعت خصلة من شعرها خلف اذنها وانتظرت بخوف.

«ثورب» قالت صوفي باختصار، والذي لم يفسر أي شيء، فكرت جانيس. «أنت تعلمين - كيف وجد عنوانك».

كانت جانيس قد استيقظت تماماً فجأة. «أنت اكتشفت...»

«عندما لم أظهر هنا، اتصل ثورب هاتفياً بالبيت وتحدث الى السيدة ماينارد، مديرة منزلنا. أخبرته بأنني ذهبت - مع الحقائب - منذ ساعات. يجب أن يكون قد وضعها عبر الدرجة الثالثة، لأنها اخبرته، هل تصدقين، أنها تعنتت عندما تحدثت على الهاتف ورتبت الذهاب والاقامة مع واحدة تدعى جانسي. اراهن بأنه كان داكناً» أضافت صوفي، مكشرة.

«لكن كيف عرف أين أعيش؟ السيدة ماينارد ليس لديها عنواني، أليس كذلك؟»

«لا. لكنك تتذكرين أن هدية عيد الميلاد لم اعطك اياها بعد؟ حسناً،

لقد كنت في عجلة من امري للخروج من هناك، فنسيتها ثانية».

«أنت تركتها على طاولة القاعة» تذكرت جانيس.

«والسيدة ماينارد يجب أن تكون قد تحدثت من الهاتف الذي على طاولة القاعة. ستكون عمياء اذا أخطأتها. لقد كتبت اسمك وعنوانك بواسطة آلة طباعتي».

«وهكذا السيدة ماينارد قرأت عنواني لثورب...».

«وهو ذهب الى شقتك، والتقى ادريان، والبقية تعرفها».

عندما قالت صوفي، اللغز قد حل، وتابعت كي تخبر جانيس أن ثورب قد حضر الى غرفتها منذ فترة ليكتشف كيف تشعر هذا الصباح.

«مع أن الاكثر، على ما اعتقد، هو لكي يرى اذا كنت لا أزال في المنزل» اعتقدت صوفي، ووجهها وقور للحظة. «مع أنه مع تهديده بالابراق الى والدي عالق فوق رأسي، فمن غير المحتمل أن أخفي سراً. لا يزال» قالت، ووجهها مشرق، «لدينا بقية اليوم بما نقوم. ثورب سيكون ملتصقاً الى مختبره وربما لن يحضر حتى لتناول الغداء».

«أعتقد أن من المفروض عليك البقاء في السرير لعدة أيام» ذكرتها جانيس.

«اللعنة على ذلك»، زمجرت صوفي. «لقد قال ثورب انني اذا شعرت بتحسن بمكنتي الخروج من السرير بعد ظهر هذا اليوم. لكن حيث أنه سيكون ملتصقاً في انبوب اختبار طول النهار، فهو لن يدري في أي وقت غادرت السرير. من المؤسف اننا جئنا في سيارته. انني أشعر كأنني ضائعة بدون سيارة. لقد فعل ذلك عمداً، بالطبع».

«هل فعل ذلك؟» جانيس لم تعر المسألة أي تفكير، لكنه كان واضحاً أن صوفي كانت متأملة.

«اوه نعم. بينما كنا نحزم امتعتنا أيقظت نفسي لأقترح بأن نغادر

عندئذ، وأنت بمكنك اللحاق بسيارتي». قالت صوفي بحياء. «استطيع أن أرى أنك لا تريدين هنا اكثر مما تريدين المجيء. وهكذا فكرت بأنه سيقفز الى الفكرة، على أمل أن تنسي اللحاق بنا. لقد عرفت أنك لن تفعلي، بالطبع».

انتهى الفطور، واقترحت صوفي في القيام بمشوار الى القرية. «نستطيع ان نذهب وندرس لوحة الاعلانات على صالة القرية. من يدري» قالت، بدون مزيد من الاقتناع، «قد تكون هناك حفلة الليلة».

كان السيد همنغز على كرسيه بعجلات. ملفوف بمعطف، وبطانية صوفية سميكة على ركبتيه، وكان يستفيد من شمس كانون الثاني. قدمت صوفي الرجل الى جانيس. مثل السيدة همنغز، حكمت جانيس أنه في اواخر الاربعينات، تماماً كما حكمت أن اليوم لم يكن واحداً من أفضل أيامه.

قفز قلبها اليه. عيناه كانتا بليدتين وخاليتين من الحياة، وبدا لها رجلاً بلا أمل. كانت صوفي على وشك الابتعاد، عندما خطر حافز لجانيس.

«نحن ذاهبتان في مشوار الى القرية» ابتسمت اليه. «هل تحب أن تأتي معنا؟».

«انني ثقيل جداً عليكما لكي تدفعاني» قال بفظاظة.

«لا، لست ثقيلاً» أنكرت، ونظرت الى وجهه الشاحب. «أنت خائف» لاطفته بنعومة، ورأت اشارة ما منه تعود الى الحياة عند دعوتها. «أنت تعتقد أن صوفي وأنا سنأخذك الى قمة التلة ونطلق كرسي العجلات. نحن لن نفعل، أعدك».

مزيد من الحياة جاء الى وجهه. «يجب أن أرى ماذا تفكر بيغي».

ذهبت جانيس الى باب المطبخ واخبرت السيدة همنغز ماذا تريد أن تفعل. بدت السيدة همنغز مرتابة عندما خرجت معها. «هل تحب أن

تذهب، يا حبيبي؟» سألت زوجها بلطف.

«استطيع القيام بذلك مع بعض التبغ» أجاب. وجانيس لم تستطع فهم الدموع التي جاءت الى عيني السيدة همنغز حتى أخبرتها السيدة همنغز، بعد يومين، أنه كان هكذا منهاراً مؤخراً، لدرجة أنه فقد اهتمامه بغليونه.

«نحن سنعتني به» همست لها جانيس.

عندئذ مع صوفي هي دفعت بعزيمة بينما تثرثر لها نصف مسؤوليتهما الجديدة، وثلاثتهم اتجهوا نزولاً الى الطريق العام. لم يلاحظ أحدهم أن ثورب كنغمان قد ترك انابيب اختباره ليحضر شيئاً ما من احدى المباني الخارجية، وكان واقفاً ينظر بتأمل الى ظهورهم المغادرة.

الفصل الخامس

لأن القرية كانت أبعد مما أدركت جانيس، وعادوا متأخرين على الغداء. سواء توقف ثورب فجأة عن العمل لأجل وجبته هي لا عرفت ولا اكترثت.

لقد كان دفع السيد همنغز عملاً شاقاً، وكانت هناك سلسلة من الارتفاعات الطفيفة التي لا تنتهي والتي تكون غير ملحوظة عند السفر بالسيارة، لكن عند دفع كرسي بعجلات كل درجة ميل تبدو أكثر انحداراً من الاخيرة. لا تزال، غير نادمة على عرضها المندفع. جلجلت صوفي بدون انقطاع الى السيد همنغز، ووضعت مزيداً من الطاقة في حديثها أكثر من المساعدة بالدفع. لكن جانيس رأت عندما توقفوا خارج صالة القرية، وثلاثتهم نظروا الى لوحة الاعلانات، وأن النظرة الميتة قد ذهبت من عينيه.

أعادتا السيد همنغز الى زوجته عندما أعلنت الساعة الواحدة والنصف.

وإذا عياء، لم تكونا لامعتين بالضبط فقط كانتا أكثر بريقاً مما كانتا.

«آسفة لقد تأخرنا كثيراً» اعتذرت جانسيس.

«لكننا توقفنا وتحدثنا طويلاً الى رجل يرتب النصب التذكاري للحرب» أنهت صوفي: «ثم ذهبنا وتناولنا كوباً من القهوة مع السيدة تيمنز العجوز. هي لا تخرج كثيراً، وجانسيس أعدت القهوة بينما أنا والسيد همنغز رفهنا عنها».

ذلك لا يمكن أن يدوم، عرفت جانسيس ذلك، لكن الفترة الصباحية كلها ولت بدون أن تخطط صوفي مشروعاً ما الذي كان مضموناً بأن يجعلها صلعاء.

«هل تعلمين، يا جانسي» قالت، ونظرت عبر نافذة غرفة الاستقبال، حيث انتقلنا بعد الغداء: «لاحدى المرات القليلة في حياتي أشعر في الواقع انني جيدة حول شيء ما قمت به».

«انت تشعرين بذلك؟» استعلمت جانسيس، متعجبة مما هو آت.

«ام م م. عندما سمعتك تقترحين بأن تأخذ السيد همنغز معنا هذا الصباح اعتقدت أنك أصبحت متواكلة. لكنني في الواقع استمتعت بذلك... حتى تناول القهوة مع السيدة تيمنز. للمرة الأولى أشعر كأن شخصاً ما في الواقع يحتاجني».

«كل شخص يحتاجك، يا صوفي» أخبرتها جانسيس بخفوت «أنت المقوى لمعظم الناس الذين تتصلين بهم».

«وألم في الردف للآخرين» قالت صوفي، وأطلقت ضحكة وجاءت لكي تجلس قبالتها: «ما هو رأيك بالديسكو في صالة القرية الليلة؟ هل نذهب؟».

«نستطيع أن نذهب اذا شئت... مع أن المفروض أنك لا تزالين شبه مريضة، وأعتقد أن من الأفضل أن تتحققي من ذلك مع خالك أولاً».

«سأذهب وأراه الآن» قالت، مصممة.

«إنه يعمل» فكرت جانسيس أن تذكر.

«اذن ذلك سيجعله يأخذ استراحة» قالت صوفي.

متروكة لوحدها، فكرت جانسيس أن من الأفضل بإحداث ضجيج حول عودتها الى لندن. صوفي لن تعجب بذلك، لكن حيث أن نومها عوض ما فاته، فهي الآن تعطي صورة صحية أفضل، وهي لا يمكن أن تتهم بأنها نكثت وعدها لأن سبب وجودها هنا، تمريض صديقتها المريضة، لم يعد له وجود.

«هل تؤمنين بالحب من أول نظرة؟» سألت، صوفي عندما دخلت مندفعة عليها.

«لا» أجابت. مشاعرها نحو شو نمت بسرعة، لكنها لم تكن هامة.

«هناك هذا المساعد الذي ثورب لديه عمل له. هو كان معه لأسابيع ولم أكن أعلم» قالت صوفي بنعومة كأنها لم تسمع الجواب السلبي: «لقد سألت ثورب اذا باستطاعتنا الخروج الليلة، وعندئذ ظهر هذا الرجل من حيث لا أدري وأنا أوشكت أن أضغط على نفسي، لانني اعتقدت بأنني كنت أحلم».

«وهكذا هو سيأتي معنا الليلة» قالت جانسيس، وعرفت مدى السرعة التي تنجز فيها صوفي نتائج عندما تدخل في العمل.

«هو بالكاد شعر بوجودي... مع ذلك» قالت صوفي: «أقسم بأنه كان سينظر مباشرة من خلالي لو أن ثورب لم يفكر في تقديمنا».

«هل قال ثورب أن بإمكانك أن تذهبي؟» استجوبت جانسيس.

«أذهب؟ أذهب الى أين؟ أوه، الى الديسكو. نعم، وافق. لكنه يريد رؤيتك على حده أولاً».

«يريد رؤيتي؟» تعجبت: «لأجل ماذا؟ هو لم يفكر لدقيقة بأن علي أن

أطلب اذنه للخروج، أليس كذلك؟».

لم تستلم جواباً، لأن صوفي اختفت في عالمها الصغير ثانية.

في الوقت الذي نزلتا فيه لتناول العشاء كانتا متأخرتين، فقد أخذت صوفي وقتها في ارتداء ملابسها. الاحتمال الأكثر انها كانت لا تزال تحلم بالرجل الذي رأته مرة واحدة وصدقت نفسها بأنها قد أحبته، فكرت جانسيس. هبطت صوفي قليلاً الى الأرض وكانت اكثر شبهاً بالشخص المرح الذي كانته قبل أن يصيبها سهم كيوبيد.

«هل غاريث لوغان يعيش في القرية؟» افتتحت صوفي حديث الوجبة، مخاطبة ثورب وذاهبة الى صلب ما تريد معرفته، بدون تأخير. وعندما أعلمت بأنه لا يعيش فيها، بل يعيش في مدينة تودسبريدج على بعد حوالي ثمانية أميال، عندئذ هي أطلقت عليه عدة أسئلة تتعلق... منذ متى عمل غاريث معه، وهل يأتي كل يوم، والسؤال الأخير، جاء عادياً كأنه ليس لديه معنى خاص، هل هو متزوج؟.

«لا، هو ليس متزوجاً» أخبرها: «لكن اذا كنت تفكرين بما قد تفكري به كحياة عادية مملة، فعندئذ لا تفكري. غاريث هو شاب جدي، وفي هذه اللحظة هو سعيد بالعمل الذي يقوم به ومتلهف لتعلم المزيد. يستطيع أن ينجح بدون نوع التشقق الذي أستطيع أن أتصور أنك تشفين غليلك على حياته النظامية».

«لست أدري كيف يمكنك أن تقترح بأنني سأقوم بمثل هذا الشيء»، يا ثورب! لقد فكرت فقط، حيث أنك تقول بأنه ليس متزوجاً، انه قد يكون وحيداً قليلاً». تأمل ثورب الصراحة لوجهها بدون تعليق، وهي تابعت: «لقد خطر لي فقط اذا كان يعيش محلياً فعندئذ هو قد يكون في الدبسكو الليلة وأن... حسناً، حيث أن لدي انطباع بأنه قد يكون وحيداً، فجانسيس وأنا نستطيع أن نحاول ونرفه عنه».

ملامح ثورب تغيرت ورأت جانسيس من الطريقة التي نزل بها حاجباه أنه لم يكن سعيداً بتاتاً بفكرة محاولة أي منهما الترفيه عن مساعده. عيناه مالتا في اتجاهها ووجدت نفسها تحت تفحص تلك النظرة القائمة، وعرفت مباشرة عندئذ أنها كانت هي بوجه خاص لا يريد أن يكون لديها أي شيء له علاقة مع غاريث لوغان.

«فكرة من كانت أخذ جاك همنغز معكما عندما خرجتما هذا الصباح؟».

شعرت جانسيس بأن لا شيء هناك تريد أن تقوله له، وهكذا تركت صوفي لكي تقوم بالاجابة.

«اذا كنا سنقع في مشكلة حول ذلك، فعندئذ هي كانت فكرتي».

«لماذا يجب أن تدخلي في مشكلة؟» سأل ثورب: «عندما شاهدت جاك همنغز بعد ظهر هذا اليوم كان مشغولاً بالرسم وفي أحسن حالاته التي رأيته فيها لأسابيع».

«أوه» قالت صوفي، واتسعت تكشيرتها: «في تلك الحالة، لقد كانت جانسي هي التي سألته اذا كان يحب المجيء معنا».

ركزت جانسيس على وجبتها عندما صوفي أوصلت هذه المعلومات الى ثورب، والوجبة تقدمت بدون أن تضيف أي شيء.

خارج القاعة كان تفكيرها الوحيد الصعود الى غرفتها لاحضار معطف لكي تضعه فوق ثوبها الذي كانت ترتديه. لكن بكل وضوح ثورب كانت لديه أفكاراً أخرى.

«أود التحدث إليك بكلمة، يا جانسيس» قال مع كل مظهر من السرور.

«بكل تأكيد» قالت بصوت متحضر، ووجدت أنها أدخلت الى غرفة يجب أن تكون مكتبه حيث أنها تضم مكتباً كبيراً.

لعدة ثوان بعد أن أغلق الباب على صوفي الفضولية، لم يقل شيئاً بتاتاً. أجلس نفسه على زاوية من مكتبه لكنه لم يدعو جانسيس للجلوس. من ذلك هي تأملت أن المقابلة ستكون قصيرة. للحظات طويلة هو تابع النظر اليها، عيناه قاسيتان عليها في ثوبها الأحمر الذي بدلاً من أن يتصادم مع شعرها فقد أكمله بشكل جميل. مصممة أن لا تكون البادئة بالكلام، انتظرت جانسيس.

«ذلك لم يمر بدون ملاحظة مني» بدأ ثورب، نظرته قاسية: «أن لا رجل يمكن أن يكون سالماً منك».

«علامات كاملة لك لكونك هكذا شديد الملاحظة» أطلقت عليه طلقتها الأولى.

«ألم أشهد بنفسي في لندن في فترة قصيرة من الزمن أنك ذهبت تصطادين الرجال كأن لديك حاجة شخصية لكي تضيفي قدر ما تستطيعين من الفروات لحزامك بأسرع وقت ممكن، أنا. . .».

«فروات!» رددت.

«هل تحاولين أن توقعي في الشرك كل رجل تقابلينه؟».

«انني لا أحاول» قالت: «ذلك يأتي بصورة طبيعية».

«كان ادريان هوارد مستعداً ليرقد ويدعك تسيرين فوقه. لقد شاهدتك بنفسي تستمتعين بتقدمات الرجل الذي كان يقبلك عندما كنتما ترقصان» قانس، بالطبع، فكرت، وليست لديها نية لشرح أسبابها في عدم ايقافه عندما قبل عنقها: «لقد شاهدت بأم عيني الطريقة التي كنت تستعجلين بها ذلك الى احدى غرف النوم. نحن كلانا نعلم ما رأيته في تلك الغرفة. . .».

«بدون شك» قالت بارتعاش.

«لكن حتى ذلك لم يكن كافياً لك، أليس كذلك؟ لقد أجلت الحضور

الى شقتك حتى الصباح التالي بصورة رئيسية لأنني مللت من هروب صوفي، لكنني عندما حضرت ماذا اكتشفت؟ لقد كان لديك رجلاً مختلفاً تماماً يشاركك في سريرك. لكن سرعان ما إن وصلت الى هنا فإن طريقتك الساحرة دخلت حياة جاك همنغز. لقد رأيت ثلاثتكم تعودون. لقد كان الرجل يضحك!».

«اذن» قالت في تحدي: «نحن وطدنا انني سيئة كاملة. هل هذا هو ما أردت رؤيتي لأجله؟» كانت نغمتها متغطرسة وهي عرفت أيضاً، من الضيق لعينيه، أنه لا يكترث كثيراً لنغمتها. لكنها رفضت أن تتراجع: «إنه يبدو تدريباً زهيداً لي. أنت لديك كل الأدلة التي تحتاجها بالنسبة لشخصيتي، فما هي الغاية من. . .».

«أنا لدي، هل لدي؟» هو أوقفها: «لكن حيث انني لا أؤمن بإنهاء استنتاجاتي حتى لا يعود لدي أي شك. . . وحيث انك لم تنزعجي لانكار أي شيء مما تحدثت عنه. . . أنا سأخبرك بالضبط ما هي الغاية من هذا النقاش. لدي فضيحة أو اثنتين غريبتين شائعتين في معظم القرى، فالمجتمع الصغير يفرز جيداً. أنت وصوفي سوف تستمتعان قريباً جداً ببعض الترفيه الذي تؤمنه القرية. آسف بأنه من الضروري لي بأن أعلمك بأن تتأكدي أن الترفيه الوحيد الذي تستمتعين به يتواجد ضمن نطاق صالة القرية».

«أنت تعني. . .» شهقت، واثقة بأنها يجب أن تكون قد أساءت فهم معناه.

«أنا أعني» أخبرها بفظاظة: «إنه عندما يتم احضار الشاي الى غرفتك باكراً في صباح الغد، لا أريد أي من الموظفين عندي أن يجد قطاً ضالاً في سريرك».

أيهما جاء أولاً، صرختها الثائرة أم حركة البرق السريعة ليدها، لا

تستطيع أن تقول. كلاهما صدرا بدون إرادتها، لذا ربما صدرا معاً.

الضربة التي ضربته اياها لم تكن متوقعة بتاتاً، وهو رفعها بين ذراعيه، وكان يعاقبها في قبلة وحشية. حتى عندما قطع قبلته ليحدق الى عينيها الخضراوين الواسعتين، لم يطلق سراحها لكنه صرّ على أسنانه:

«هل تعتقدين أنك تستطيعين النجاة بالقاء ثقلك حول ذلك القطيع من المراهقين الذين تهربين معهم، لكن لا تحاولي ذلك معي، يا فتاة. اصفعيني، وأنا أرد لك الصفعة!».

في ثانية هي فتحت باب المكتب وصعدت السلم كالبرق، وهناك وجدتها صوفي بعد فترة ليست طويلة.

«لقد خرج ثورب لتوه» قالت، ودخلت الى الغرفة: «هل أنت مستعدة؟».

«انني فقط سأرتدي معطفي».

كانت صوفي قد استعارت مصباحاً من السيدة همنغز لأن بعض الطريق الذي ستسيران عليه لم يكن مضاء: «لقد قال ثورب أنه سيوصلنا اذا كنا مستعدتين للذهاب الآن» قالت عندما خرجتا: «لكنني فكرت أنك اذا كنت قد تقاتلت معه فإنك لن تتخيلي ذلك كثيراً، وهكذا رفضت» نزلتا عدة درجات: «هل تقاتلت معه؟» سألت.

«الآن لماذا يجب أن أتقاتل معه؟».

«لست أدري. لكن يبدو لي أنه في كل مرة أنظر فيها إليك أنت وثورب معاً أن هناك سكون في الجو».

«نحن... لم نتقاتل. في الواقع لقد أراد خالك أن يعرف اذا كنت في الواقع لائقة للذهاب الى هذا الديسكو. لقد طلب مني الاهتمام بك».

«هل طلب حقاً؟» سألت صوفي، التي لم تفكر بأنها استغفلته حول كونها مريضة. عندئذ، ظهرت محبتها له، فقالت بنعومة: «ليباركه الله».

ليباركه الله! هو سيكون بحاجة الى البركة اذا هي أخذت طريقها، فكرت جانيس بغضب صامت.

هي حتى لا تريد أن تضع أنفها داخل صالة القرية. صعدت الدرجتين مع صوفي، التي عندئذ فتحت الباب لتدخل، ثم وقفت مخترقة، موصدة الباب، قبل أن تغلقه بسرعة.

«لا تدخلي هناك» قالت في نغمة خائفة كأنها شاهدت جسماً ميتاً. لحقت بها جانيس بعيداً عن الصالة، حيث اتكأت صوفي في الحال على أقرب حائط وبدأت تضحك.

«هكذا كثير لهذياناتنا، يا جانسي» قهقهت: «اذا أي واحد من أولئك الأطفال هناك هو فوق السادسة عشرة، فسوف آكل يوم الأحد على الوجه الأفضل!» تلاشت ضحكتها، ولم تنفضها الافكار، فاستقامت بعيداً عن الحائط: «تعالي، دعينا نذهب ونرى ماذا يقدم النادي الليلي للقرية».

الاسد الاحمر لا يقدم شيئاً. بعيداً عن رجلين كبيرين جالسين في زاوية واحدة اللذين ظهرا ليكونا أثاثاً دائماً، كان النادي مهجوراً.

«رائع بالنسبة لي» همست صوفي، وابتسمت الى الرجلين الكبيرين، «لكنني لا أحب نظرتك كثيراً».

استطاعت فقط أن تبقي وجهها مستقيماً، لا تريد أن يعرف الرجلان حيث أن صوفي كانت تنظر اليهما أن ملاحظتها كانت عنهما ودغدغتها، فذهبت جانيس مع صوفي لكي تطلب الشراب.

«ليلة ملعونة» شرح المالك، عندما اقترحت صوفي أنه ربما كان هناك وباء منتشر: «الفريق ذهبوا يلعبون مباراة، وقد أخذوا تجارتي معهم».

حافظت صوفي في قليل أو كثير على حديث من جانب واحد بينما كانتا تحتسيان شرابهما، بينما جانيس حاولت التركيز كيلا يشرد انتباهها. لكن الشعور بذراعي ثورب حولها، والصدمة لمعرفة أنها

تجاوبت مع مثل هذا المخلوق الشرير، حطم تركيزها من حين لآخر.

ربما أحست صوفي أنها لم تكن معها تماماً، لأنه قبل أن يتصف شراب أي منهما، كانت تقترح أنه ليس هناك شيء آخر لتقوما به في قرية أبوتس هانلي، التي كانت تلقبها باسم «مركز الحراسة الأخير»، فقد يكون من الأفضل لهما أن تعودا الى المنزل ورؤية اذا كان هناك أي شيء يستحق المشاهدة على التلفزيون.

بذلت جانيس جهداً كبيراً لابعاد ثورب كنغمان عن أفكارها عندما عادتا أدراجهما.

«أعتقد انني سأذهب الى الفراش» قالت صوفي، تاركة الجهاز مفتوحاً عندما المذيعة قدمت الحلقة الأخيرة لرواية جاسوسية مثيرة كان ويليام متعلقاً بها.

«كان ويليام يتابع هذا المسلسل» أخبرت صوفي: «سأبقى وأراقبه، عندئذ أستطيع أن أكتب له وأخبره عن النهاية».

بعد أن تلقت تأكيدها بأنه لا حاجة هناك تدعوها للبقاء أيضاً، انطلقت صوفي، وتركتها للمسلسل. لكن بكل انتباهها الجيد، لم تتابع المؤامرة المعقدة مثل شقيقها، وخلال خمس دقائق وجدت جانيس انتباهها يتجول.

ما الذي كان يفعله ثورب كنغمان الآن؟ لقطت نفسها تفكر، وفي الحال حولت انتباهها ثانية الى الجهاز. لم تكن مهتمة بتاتاً بأي شيء يقوم به ذلك الرجل. سأراهن بأي مبلغ من المال بأنه مع تلك القذرة ايلين فوربس، انجرف انتباهها ثانية. حسناً، انها موضع ترحيب بالنسبة اليه.

تثاؤبة فرت منها فأمالت رأسها على مسند الأريكة الناعم. رؤيتها أصبحت مبهمة فرفرفت عينيها لتبقى مستيقظة. بدون أن تدرك ذلك

رفعت قدميها على الأريكة، وعدلت وضعها لتكون مرتاحة.

كان قد مضى على نومها أكثر من ساعة عندما فتح الباب الأمامي. كانت ساهية لحقيقة أن شخصاً ما دخل الغرفة، غارقة في شكلها النائم، ووجهها مدفون في سحابة من شعرها. لم تكن لديها فكرة أن ثورب كنغمان قد أطفأ التلفزيون قبل أن يأتي ليقف وينظر اليها لعدة ثوان قبل أن يمد ذراعيه اليها.

الفصل السادس

جاءت جانيس عبر نفق طويل من النوم العميق لتجد نفسها على الاريكة وأن مضيفها قد لف ذراعيه حولها. لا تزال فقط نصف مستيقظة، بغرابة، ربما كان هو ينظر اليها للمرة الاولى بدون ذلك الجليد المألوف في عينيه، وهي لم تهلع.

عيناه كانت لهما نظرة دافئة، فكرت، وعيناها ذهبتا الى وجهه عندما اقترب رأسه.

«لا تقبلني» همست بدون وعي، وشعرت كأنها في بيتها بين ذراعيه، وعندما تستيقظ تماماً ستحارب بقوة بطريقتها للتخلص منهما.

«انني لم أكن انوي تقبيلك» أخبرها بهدوء، لا شيء عاجل أو قاس في نظرته: «أنت لم تكوني مرتاحة هناك، وكانت فكرتي هي ان انقلك الى غرفتك بحيث تستطيعين إتمام نومك بارتياح».

«أوه» قالت بنعومة، وضباب النوم رفض أن ينقشع منذ كان هو معها

أقل وحشية.

«لماذا لا تريديني بأن أقبلك؟» سألها، لا شيء حوله عاجل. «لقد استمتعت بتقبيلي لك من قبل».

«لقد كنت تقبلها» قالت، بدون تفكير. عندئذ عند تذكيره لها بتلك القبلة الأخرى، والطريقة التي أبعدها فيها، والغضب الذي غمرها بعد ذلك، توردت بشدة وعادت الى اليقظة الكاملة.

بتسرع، بتسرع شديد، ابعدت ذراعيه عنها ووقفت على قدميها. نهض تورب أيضاً، وذراعاه التفا حولها، هذه المرة رافضاً أن يطلق سراحها عندما تبين أن ساقيها لا يستطيعان حملها.

«اذن ذلك يهين كرامتك بأن يكون لديك رجل يأتي اليك مباشرة بدلاً من شخص آخر تكونين بين ذراعيه؟» استعلم. واذا هي فكرت أنها شاهدت الجانب الاكثر رقة لطبيعته اكثر مما أظهر لها الآن، عندئذ عرفت جانيس أنها تستطيع نسيان ذلك. لأن تلك النغمة القاسية عادت ثانية عندما قال: «من المؤسف أن ذلك لا ينجح بالعكس، أليس كذلك؟».

حاولت أن تنسحب من بين ذراعيه، لكنه لم يطلق سراحها. لقد عرفت تماماً أنه كان يشير الى ما اعتقد انه حدث بينها وبين فانس، وبعد ذلك بوقت قصير، مع دافي. ربما هي لم تكن مستيقظة تماماً كما اعتقدت، لأن ذلك لم يكن في ذهنها لكي تدافع عن نفسها ضده. لكن عندما فقط منذ عدة ساعات لا شيء سيجعلها تهدف الى رأيه الجيد، ووجدت نفسها تحاول أن تخبره:

«دافي لم...».

«أنت لا تريدين أن تخبريني أنه لم ينم في سريرك؟».

«حسناً، هو نام، لكن...».

«أوه، اذهبي الى الفراش!» صرخ بفظاظة، والغطرسة فيه أغضبتها.

لم تتحرك، بل وقفت هناك تحدق اليه، هو أضاف اهانة الى الجرح:
«هل أفهم أن الديسكو لم ينتج عنه شيء وأنك لا تحبين الذهاب الى السرير جائعة؟».

«أنت. . .».

«انس الموضوع. لقد قبلتك مرة كعقاب. كي أقبلك مرة ثانية فإنه سيكون عقاباً لي».

«أنت وقح مغرور متعاظم! لست أدري من تظن نفسك، لكن دعني أخبرك انني لم أقابل خنزير لا يطاق، مختال، مأفون، براغماتي، قذر مثلك!. أنت قد تعتقد انني لا أصلح لكي أتنفس نفس الهواء الملائكي مثلك، لكنني على الأقل أعرف كيف أضحك!. يا الهي، إنه لا عجب اذا لم تصب بصداع دائم، هالتك ملتصقة بإحكام. لقد حان الوقت لكي تخرج من زاويتك الخانقة وتنظر حولك، ولكي أوفر عليك الصدمة، سأقول لك. . . نحن نعيش الآن في الثمانينات، وليس في القرن الماضي».

انتقلت الى الباب، واثقة بأنها ستصعد بصورة أفضل، مقتطعة أشياء تستطيع أن تطلقها عليه لاحقاً.

«ولكي أسمح لك بتقبيلي ثانية» ألقت عليه، يدها على قبضة الباب: «أنا سريعة التهيج لمن أقبله أكثر مما تعتقد. السبب الوحيد الذي جعلني أقبلك ثانية كان لأنني كنت أدري مكمدة لأعرف مدى البؤس الذي ستذهب اليه!».

كان النصر حقيقياً. كانت تفكر بفرح بعد ساعة. بكل تأكيد زعزعته بتلك الصفعة الاخيرة. جالسة في السرير، والمصباح بجانب السرير مضاء، كانت مسرورة جداً مع نفسها لكي تفكر بالذهاب للنوم. لم تسمع ثورب يصعد السلم وتأملت بإخلاص أن يكون هناك حيث تركته.

تلاشت أفكارها الى لا شيء عندما أذناها التقطتا صوتاً خارج بابها، وتفتحت عيناها عندما رأت قبضة الباب تدور. عندئذ دفع الباب الى الداخل، وبدأ قلبها يسرع عندما ثورب، مرتدياً البيجاما، دخل بصمت الى غرفتها، وأغلق الباب بصمت خلفه.

«أنا» قال: «كنت أفكر بما قلته، يا جانسيس» كان قريباً كفاية منها لتشم رائحة الشراب على أنفاسه. أوه، يا الهي؛ هو سكران، فكرت، وهو لا يدري ماذا يفعل: «أنت قلت» ذكرها: «أنه قد حان الوقت لكي أخرج من زاويتي الخانقة والى عصر الثمانينات».

«نعم، لكن. . .».

«انت قلت انني كنت بائساً مشدوداً» تذكر، وعرفت أنه كان سكراناً عندما قال: «لقد فكرت أن من الأفضل أن أقوم بشيء ما حيال ذلك».

كان ذلك عندما قام ثورب بقبضة لها أن تحركت جانسيس ـ في الاتجاه المعاكس. يداه لم تلمساها. بدلاً من ذلك ذراعاه جاءتا حولها عندما رأت أن ذلك كان قصده، وكل ما أمسكه كان الهواء عندما، فقد توازنه، وسقط الى الامام ورقد ووجهه الى أسفل في الوسادة.

في ومضة عين كانت عند الباب، تلقي نظرة سريعة الى الوراء على جسمه الساكن الآن، ووجهه مخبأ. ضاغطة على شفتيها، تجاوزت الباب وكانت على الممشى في الخارج.

متكدرة، تحولت باتجاه السلم، وفكرت بأن تذهب وتريح نفسها على الاريكة. الحالة التي كان فيها ثورب، لن تجعله يهبط السلم، ليس على قدمين.

تمتمت ببضعة أفكار كريهة حول مضيفها، جلست جانسيس على الاريكة في غرفة الاستقبال، بدهشة اكتشفت أنه قد استهلك زجاجة الشراب، وان ما قالته هو الذي دفعه الى ذلك. يجب أن يكون سكراناً

قدرت، فلو أنه كان واعياً فهو لن يأتي الى غرفتها.

لفت ذراعيها حولها، وشعرت بقشعريرة من البرد في الغرفة حيث أن التدفئة المركزية تقطع آلياً وربما لن تعود ثانية حتى حوالي الساعة السادسة. بدأ البرد يعض جسمها، وازداد غضبها لأن توروب كان يلتف بدفء في سريرها بينما هي تجلس هناك وربما تصاب بالتهاب رئوي. ربما هو خرج وترنح عائداً الى غرفته، فكرت، بدون مزيد من الأمل.

بعد نصف ساعة، عندما كانت واثقة أنها كانت زرقاء من البرد، غضبها من توروب كنعمان تحول الى قوة بناءة، وقدماها العاريتان أخذتاها لكي تصعد السلم بصمت.

اعتقدت ان نيتها كانت الدخول الى الغرفة وتتناول ثوبها الدافيء من تحت السرير حيث تركته. لكن عند دخول الغرفة، كان مصباح الطاولة لا يزال يضيء الطريق التي غادرتها مسرعة، فاقتربت على رؤوس اصابع قدميها الى السرير ورأت توروب وقد ادار ظهره الى الضوء وكان لا يزال بارداً في الخارج.

زحفت عائدة بصمت الى الباب واغلقته بهدوء. عندئذ، أخذت أقصى الحذر كيلا توقظه، عادت الى السرير وبلطف شديد رفعت الاغطية على الجانب بعيداً عنه، وبالكاد تجرأت أن تتنفس، واندست تحتها.

انجرفت جانيس من شعور النوم والدفء وذهبت لتتقلب. شيء ما جامد كان في الطريق. أزعجته. تحرك! عيناها تفتحتا لترى أن الفجر على وشك ان ينبلج، لكن ذلك ليس فقط أنها تركت المصباح مشتعلاً، بل هي كانت في السرير مع توروب، الذي كان مستيقظاً الآن ويحاول الجلوس.

حدق اليها، عيناه تظهران الدهشة.

«أنا. . .» بدأت، ووجدت أنها كانت تتورد بغضب: «ما هذا بحق

الجحيم. . .؟» ابتعدت عنه في نفس الوقت.

انتقلت نظرتها من وجهه الى ذلك الصدر العريض العاري، وبدأت ترتجف، عندئذ رأت في وجهه النظرة التي اخبرتها أنه كان يضع ترجمته الخاصة على ما كان يقومان به في السرير معاً. وعرفت بدقة عند تلك اللحظة أنها لن تشرح، ليس الحقيقة على أي حال. لأن ذلك كان واضحاً كالنهار أنه رغم أن توروب لا يتذكر كيف أصبح هو في سريرها، وكان لديه رأي بأنه كان موضع ترحيب. وذلك جعلها غاضبة حيث أنه كان دائماً مستعداً لوضع اللوم عليها في كل شيء. أبعدت عينيها عن وجهه، لا تريده أن يرى بأنها كانت تغلي، واستدارت لتدفن رأسها في وسادتها.

«كيف يمكنك؟» ناحت باتهام، بصوت عال يكفي لكي يسمع. «أوه، كيف يمكنك؟»

كان هنالك صمت مصعوق، كما توقعت. عندئذ صوته، بدا ظلاً من الحيرة ـ حسناً، توقعت ذلك ـ «كيف يمكنني. . . ماذا؟».

«أنت. . . حتى. . . لا تتذكر، أليس كذلك؟» أخذت تئن: «أنت كنت سكراناً جداً لكي تتذكر».

«أنا لم أكن سكراناً» اعترض، واتخذ صوته تلك النغمة القاسية التي كانت مألوفة لها.

«أنت ما كنت لتفعل ما فعلته بي لو كنت واعياً» تنهدت، وأطلقت صرخة من الخوف عندما يداه نزلتا على كل كتف وادارها لكي ينظر الى وجهها.

«ربما أنت لا تمانعين في اعلامي فقط ما الذي كنت أقوم به؟»

«أنا. . . أنا كنت عذراء حتى دخلت الى غرفتي الليلة الماضية» أنبتها فكرت، كان لمسة لطيفة، وفتحت عينيها قليلاً لكي تنفث الغضب عليه.

عندئذ بدون احساس كان يسأل، «هل تحاولين اعلامي أنني كنت في حالة سكر عندما جئت الى غرفتك ؟ لأنك اذا كنت، دعيني أخبرك . . . »

«انني افكر أفضل منك، يا ثورب» صرخت، وشعرت باهانة غريبة أنه كان جيداً يقول أنه سواء أكان سكراناً أم واعياً فهو لن يتخيلها، وأنه حتى بينما هو سكران لا يستطيع أن يتخيل نفسه يأخذها، وأنه حتى بينما هو سكران لا يستطيع أن يتذكر ما حدث وهو يعرف فقط أنه لم يلمسها.

«أعتقد أن من الأفضل أن تذهب» قالت ببساطة. «ان صوفي قد تركب رأسها وتدخل - هي فعلت ذلك صباح الامس. واذا لم تكن صوفي، فأنت لا تريد أن تجدك كارول في سرير ضيفتك عندما تحضر الشاي، أليس كذلك؟»

ربما لو أنه بقي، واستجوبها اكثر، فهي قد تخضع، وتعترف بأنه لم يحدث شيء بينهما. لكنه لم يبق.

عندما نزلت لتناول الفطور، كانت جانسيس لا تزال تشعر بأنها مظلومة لأن ثورب تركها.

«أنت هادئة جداً» قالت صوفي، التي تأخرت بالنهوض وكانت قد حضرت لتوها. «هل حدث أي شيء؟».

«انظري، يا صوفي، هل تمانعين اذا عدت الى البيت» لن تسأل هذا السؤال، لأن الباب فتح، ودخل ثورب. قال «صباح الخير» عامة، التي غطت جانسيس وكذلك صوفي، واجاب على سؤال صوفي الوقح حول ماذا كان يفعل بحشر أنفه بعيداً عن حجر الطاحون عندما كان الوقت فقط التاسعة الا عشر دقائق، ثم خاطب جانسيس مباشرة.

«هل يمكنك المجيء لرؤيتي في مكتبي عندما تنتهين من تناول فطورك، يا جانسيس؟» سأل، بفرح، فكرت، مع أنها عرفت أن أي فرح لها كان فقط لأن صوفي كانت هناك، أذناها مشنفتان.

«نعم» وافقت باختصار، ووجهت اهتمامها الى قهوتها، ولونها عال عندما خرج.

«حسناً» قالت صوفي، بدون أن تلاحظ لون جانسيس المرتفع لأن دماغها بدأ يخطط. «حاولي ابقاءه أطول مدة ممكنة، لأن ذلك سوف يعطيني الفرصة للذهاب الى المختبر ويكون غاريث معي لوحدي» تقبلت القهوة التي صبتها جانسيس لها ونظرت، ولاحظت مدى الشحوب الذي تحولت اليه فجأة.

«أنا أقول!» تعجبت. «أنت لست قلقة حول رؤية ثورب، أليس كذلك؟» ونسيت غاريث للحظة، «سأذهب معك، فقط اذا ثورب يريد أن يراك في مكتبه فهو يعني أنه يريد أن يكون خاصاً وهو سوف يستثنيني».

«لا، أنا لست قلقة» قالت جانسيس، واعطت فكرة جادة لعدم الذهاب بتاتاً. أخذت تزداد كرهاً لثورب مع كل ساعة.

«هل لديك فكرة عن ماذا يريد أن يتحدث اليك؟» سألت صوفي، مضيفة، «أنت تعلمين، هذه قد تصبح عادة. لقد كنت في حديث ودي معه في المكتب قبل أن تخرج الليلة الماضية» عيناها لمعتا فجأة. «أنا أقول، انتما الاثنان لستما . . .».

«لا، نحن لسنا» قالت جانسيس بحدة.

«آسفة أنا أتحدث» قالت صوفي مع تكشيرة، ثم، بتفكير، «هو ليس بشع الشكل، أنت تعلمين، يا جانسي. هو فقط في السابعة والثلاثين. السن المناسب تماماً. ماذا اذا . . .».

«توقفي عند هذا الحد، يا صوفي» أمرتها جانسيس بخشونة، متأكدة الآن بأنها ستعود الى لندن في ذلك اليوم، لأنه بدا كأنه بدون أي صوفي أخرى شيطانية يمكن أن تصحو، وكانت الآن مستعدة لتجربة يدها في وساطة الزواج.

«موسف»، قالت صوفي. «لقد أحببتك كخالة» عندئذ قبل أن تتمكن جانسيس من طرق موضوع المغادرة، كانت صوفي تضع كوبها. «هل تعذريني اذا انطلقت؟ اريد أن أذهب الى غرفتي وابدل ثيابي قبل أن اذهب لرؤية غاريث» ذهبت، وتركت جانسيس على هواها لكي تأخذ بعين الاعتبار اذا كانت هي مهتمة بتلبية رغبة ثورب برؤيتها في مكتبه.

كان لديها وقت منذ مغادرته من غرفتها لكي تعجب اذا كانت هي مخطئة تماماً في ادعاء انه كان مرجوماً لدرجة فقدان الذاكرة. كانت واثقة من قبل. لكن لو أنه لم يكن قريباً من الشلل، عندئذ ليس لديها جواب لماذا جاء الى غرفتها في المكان الاول. ذكرها بأنها نعتته بالبائس المشدود، وقال أيضاً، «أنا فكرت ان من الافضل القيام بشيء ما حيال ذلك» قبل أن تتجنب القبضة التي قام بها نحوها. لكن بكل تأكيد هو ما كان ليفعل ذلك ما لم يكن مختزناً؟.

مع ذلك كلما فكرت حول ذلك. كلما توصلت الى نظرية أنها كانت مخطئة لكي تفكر بأنه كان ثملاً. مع ذلك كانت حائرة لتجد أي تفسير آخر لسلوكه. لو كان يمتلك أي شيء قريب من روح الدعابة لضحكت من سحق ذلك الى بعض الشيطنة فيه انها سرّعته ليهزها خارج الاقتناع الذي لديها بأنه كان بائساً مشدوداً. لكنه لم تكن لديه روح الدعابة، وكانت واثقة من ذلك.

كانت واثقة، أيضاً، أنها عرفت لماذا اراد رؤيتها في مكتبه. أراد أن يعرف ماذا تفكر أن تلعب باتهامه أنه قام «بطريقته الشريرة» معها، ولا شك حول ذلك، فهي كانت لضرب شفهي.

افترضت أن تشكره لأنه ينوي القيام بذلك في خلوة، ولن يتصل أحد من أحد دوائها، وعرفت أنها ذاهبة لكي تواجهه. ومع أنها لم تكن لديها نية في مواجهته. تركت غرفة الفطور واخذت طريقها الى المكتب مع

ذقن عالية. فقط تأملت انه عندما ينتهي ترتيبهما - لأنها لا تستطيع أن ترى نفسها تأخذ كل ما قاله ثورب بهدوء - دخلت أولاً وقالت أنها ستغادر. قبل أن تسنح له الفرصة ليخبرها أنه سيلقيها في الخارج.

الفصل السابع

ذلك لم يساعد أفكار جانيس الثورية أنها تركت لتبريد كعبيها لعدة دقائق عندما وصلت الى المكتب. حيث أنه كان يتوقع منها أن لا تنزعج لكي تطرق على باب المكتب، بل دخلت مباشرة، فقط لكي تجده خالياً.

كان ظهرها الى الغرفة وكانت تنظر خارج النافذة، تقول لنفسها أنه اذا لم يظهر خلال الدقيقة التالية، فانها ستذهب رأساً الى غرفتها لكي تحزم امتعتها. وعندئذ سمعت الباب يفتح ويغلق، ومتوترة آنياً من قبل، ووجهها رابط الجأش، التفتت لترى ثورب واقفاً بجانب الباب، وجهه خال من أي تعبير كما تأملت أن يكون وجهها.

«لقد أنهيت فطورك بأسرع مما فكرت» قال، متجاهلاً الكرسي خلف المكتب وذهب الى احدى الكراسي الناعمة القريبة من مكان وقوفها بجانب النافذة. «اجلسي، يا جانيس»، قال، وقد شعرت بسيطرته

وسلطته، عندما جعل أمره يبدو كاقتراح. «نحن قد نكون مرتاحين» أضاف.

بقي واقفاً حتى شاهدها تجلس، ثم لا يزال في نفس الصوت البارد، قال، فقط في حال كانت في شك حول ما يريد أن يحدثها به، «لقد كان علينا أن نترك مناقشتنا في منتصف الطريق، في وقت مبكر هذا الصباح. ربما الآن ستخبرينني بالضبط ما الذي كنت تحاولين سحبه».

«أحاول لأسحب؟» رددت، والفكرة الكريهة عبرت ذهنها أنه اعتقد أنها فكرتها في الانضمام اليه ثانية في ذلك السرير الليلة الماضية كانت لكي تتمكن من ابتزازه بطريقة ما. الفكرة لم تهدىء من ثورتها. «انني لم احاول أن أسحب شيئاً» صرخت، وكرهت لأنه استطاع أن يبدو هكذا هادئاً عندما فقدت سيطرتها بسرعة. «وتوقف عن محاولة وضعي في الخطأ! أنا لم أوجه اليك الدعوة الى غرفتي الليلة الماضية ـ لقد جئت بدون أدنى تشجيع مني. كما لم أطلب منك البقاء»، أضافت بنفس الاسلوب.

«اذن،» قال، بعد عدة لحظات من التفكير، «أنت تدعين أنني بعد أن جئت الى غرفتك وبأنني أمسكت بك ـ ماذا؟ أغريتك؟ اغتصبتك؟».

«الا تتذكر؟» تجرأت، وليست لديها خطة صلبة في ذهنها الآن، لكنها لا تزال غاضبة لكي تريد أن تراه يشعر بالهزيمة.

«انني أتذكر دخولي الى غرفتك. وأتذكر بأنني رقدت على سريرك. لكن. . .» نظرته رفرفت فوقها قبل أن يحول انتباهه الى النافذة، «لكن البقية هي على بياض. لا أستطيع أن أتذكر شيئاً بعد ذلك حتى شعرت بكوعك يحفر في ظهري هذا الصباح».

«لقد فهمت» قالت ببطء، وأوشكت أن تنفجر في الضحك عندما رأت نظرته لا تزال على شيء خارج النافذة، وقد خطر لها أنه كان خجولاً

جداً لكي ينظر اليها.

«هل كان ذلك اغتصاباً؟» سأل بهدوء.

«لقد بدأ بتلك الطريقة، لكن. . .»

«لكن شهوتك فازت» أكمل.

«ربما» قالت، وارتفع رأسها بحيث تستطيع أن تنظر اليه، وشرارات التهبت في عينيها الخضراوين لكل ما حاولت أن تطفيء. «لقد كنت خبيراً جداً بالنسبة لي» شرحت، صوتها منخفض. «أنا ـ أنا لم أتحمل الفرصة» توقفت، تفكير ذكي دخل الى رأسها بحيث كان عليها أن تنظر الى تحت ثانية، بقدر ما أحبت أن تشاهد ردة فعله. «أوه يا الهي» قالت بألم. «ماذا لو كنت حاملاً؟».

«حامل!» انفجرت الكلمة منه. بدا مهزوزاً لدرجة أنه كان عليها أن تنظر اليه بغض النظر اذا رأى النصر في وجهها بأنها قد هزته.

لكنها كانت هي التي تلقت الهزة، لأنها عندما نظرت الى ذلك الوجه المتغطرس، لقد بدا آبياً أنه كان على وشك أن يضحك. عندئذ عرفت نفسها أنها أخطأت، لأنه عندما جلست وراقبت، سكون رهيب خيم فوقه. عندما حدق بقسوة اليها، وصرّ على اسنانه بخشونة.

«اذن تلك كانت لعبتك! لقد أوقعت نفسك في مشكلة وتبحثين عن والد لطفلك».

أضواء حمراء لمعت عندما فقدت السيطرة على أعصابها. بحركة خاطفة نهضت عن كرسيها، فملاحظته القاطعة دلالة أخرى على احتقار الذي يحمله لها، واتهام آخر لما يعتقده في شخصيتها. سيطرتها ذهبت وعرفت بأنه سيكون عليها أن تجلده.

لكن ثورب كان قد نهض عن كرسيه، ويداه شبكتا يديها الى جنبيها، وصوته ملطف عندما استطاع أن يرى من وجهها كم كان هو مخطئاً!

«انني آسف» اعتذر بسحر لم تتوقعه: «هل ستصفحين عني وتضعين ذلك على الصدمة التي تلقيتها لدى سماعي بأنني قد أكون والد الطفل الذي لا أتذكر حمله؟».

اعتذاره برد من ثورتها لكنها لن تصفح عنه لما اعتقده، حتى في صدمة.

«ربما أنا أفرطت في ردة الفعل» قالت، وشعرت بأن يديه لا تزالان قويتين على ذراعيها، «لقد اخبرتك هذا الصباح أنني ـ لم اعرف رجلاً من قبل. أعتقد أنني كنت أيضاً في صدمة أنني اذا كنت حاملاً فأنت تنوي إنكار الابوة».

كونها لم تمثل من قبل، ما لم تستطع أن تحسب كونها جنية في مسرحية مدرسية، جانسيس، لكل ما كانت تقوله حقيقة حول عدم كونها مع رجل، لم تكن لديها فكرة اذا كان قريباً من الاستيعاب. لكن عندما بحزم مع أنه ليس بتسرع وضعها لكي تجلس ثانية في الكرسي الذي قبل دقيقة فقط اهتزت منه، وروحها بالأمل كانت تحلق عالياً. يستحق كل كذبة تستطيع أن تفكر بها!

عاد ثورب الى مقعده أيضاً، لكنه كان يميل الى الامام، ووجهه جدي. «اذا كان ما تقولينه صحيحاً، يا جانسيس» قال ببطء، عيناه الرماديتان لهما تأثير منوم عليها، مما جعل من المستحيل عليها أن تنظر بعيداً، «عندئذ فإن بعض الاستنتاجات التي توصلت اليها عنك هو أنك كنت بعيدة جداً عن الهدف» أخذ فمه خطاً عابساً. «أعتقد كبداية أن من الأفضل أن تخبريني ماذا كنت تفعلين عندما رأيت ذلك اللوثاريو يحصل على كل اشارات «نعم» التي احتاج اليها في الحفلة».

«أعتقد أنك تعرف أن ادريان هوارد. . . تعتقد أنه يحبني. حسناً، لقد اخبرته بصراحة قدر المستطاع أنني لا أحبه. لكن ذلك لم يوقفه عن

ملاحقتي والطلب مني كي أتزوجه، وهو فقط لا يقبل كلمة لا كجواب».

«تابعي» سرّعها. «أستطيع أن أرى بنفسي أن الشمس تغيب وتشرق معك لأجل ادريان هوارد».

«حسناً» قالت، «أنا كنت في وسط الرقص مع فانس كترتيغ ابذل كل ما استطيع لأبقيه على بعد ذراع، وعندئذ نظرت ورأيت أن ادريان قد دخل لتوه. كان ينظر الي، ومن ملامحه عرفت أنه في وقت ما خلال الحفلة هو كان ملزماً بالمجيء ليبحث عني ليكرر كل شيء» قاله من قبل. على الانعكاس أستطيع أن أرى انني ظهرت متوحشة، لكنني فكرت بأمانة بأنني سأجرب كل شيء آخر. وهكذا عندما بدأ فانس ليصبح عاشقاً، ومع أدريان ينظر، فبدلاً من أن أصفع فانس، تركته يستمر في ذلك».

«تفكرين لكي تظهري الى ادريان انك اذا كنت الوحيدة بالنسبة اليه، فعندئذ هو ليس الوحيد بالنسبة اليك» قال ثورب، وجهه لا يزال جدياً.

«شيء ما من هذا القبيل» وافقت، بدون أن تشعر بخير حول ذلك الآن.

«أنت لم تكن لديك فكرة بأن الرجل الذي كنت تراقصينه سيلحق بك الى الطابق العلوي؟».

«لا بتاتاً. لقد كنت قد اكتفيت من الحفلة حينئذ، وكل ما قلته لأدريان هو أنني في طريقي الى الحمام، وذهبت الى الطابق العلوي لآخذ معطفي. أنا لم اكن أعلم في اية غرفة نوم وضعته بريمروز، واكتشفت لتوي أنه لم يكن في غرفة النوم التي استعملت لذلك الغرض في حفلتها الأخيرة، وقبل أن اعرف ما الذي كان يحدث كان فانس هناك خلفي يدفعني الى الداخل ويطفىء النور. أعتقد حيث انني لم اردعه فقد شعر انني موافقة، لكنني لم اكن، والشيء التالي الذي عرفته هو أنه كان يضعني على السرير واكتشفت أنه قد خلع قميصه، عندئذ اشتعل النور

وأنت وقفت هناك. خرجت من تلك الغرفة قبل أن تسنح الفرصة لفانس لكي يدرك أنها لم تكن ليلته».

«وبعد فترة وجيزة أنت وصوفي غادرتما الحفلة».

لكي تخبره بأن صوفي لم تكن معها سيعني ذلك ابعاد صوفي، لذا استقرت على كلمة «نعم» موجزة.

«وأين دخل دافي في هذا؟ هل كان في الحفلة؟ هل لحق بك الى البيت؟».

«لا» قالت جانيس، وتابعت تشرح بينما ثورب يستمع بصبر، عن الطريقة التي كانوا فيها اربعتهم، هي وويليام، وصوفي ودافي، جميعاً يتجولون معاً عندما كانوا جميعهم يعيشون في لبتل برامنغتون وكيف أن دافي كانت له دعوة مفتوحة لسرير بنفس الطريقة التي كانت لصوفي. «شقيقي ويليام سافر الى اليونان للعمل على الحفريات فقط في ذلك الصباح» شرحت. «لم اكن قد شاهدت دافي لأكثر من اثني عشر شهراً، لكن عندما عدت الى البيت كان هو نائماً على عتبة بابي. كان مسافر الى باريس في الصباح مع بعض الاصدقاء» أضافت، «وهو فقط اراد سريراً لليلة واحدة».

أحست بأن ثورب كان يصدقها، واكثر سعادة لقول الحقيقة بدلاً من أن تكذب عليه طول الوقت، وفتشت عن الحقيقة التي لا تشمل اعلامه بأن صوفي لم تأت الى البيت طول الليل.

«وحيث أن أمتعة صوفي كانت قد وضعت في غرفة ويليام، فقد قررت أن أنام معها» اخبرته، منتهية «وعندما شكرني دافي على استعمال سريري في الصباح التالي، كان ذلك هو كل شيء»، بطريقته الأنيقة، التي كان يشكرني بها».

تبع ذلك صمت تبين أنه يمتد الى ما لا نهاية. لكنها ترقبت السرور

العارم الذي سوف تختبره عندما يعرف ثورب بالضبط أنه كان قد أخطأ في حقها، لكن جانيس وجدت أن السرور كان بكل حزن ناقصاً عندما تكلم أخيراً.

«اذا كنت تحبين أن تتمرجحي علي الآن، يا جانيس، فانني أعدك بأن لا اوقفك. انني أقفز بقدمي الاثنين، أليس كذلك؟».

«هل تصدقني؟».

«هل كنت تكذبين؟».

«لا» قالت. «لا».

وقفت عندئذ، مستعدة للذهاب ـ ولم تكن لديها فكرة، حتى أخذت خطوة باتجاه الباب ووجدت يد ثورب على كتفها تمنعها، أنها عندما قالت أنها لم تكن تكذب، هو أخذها لتعني أنها كانت تكذب حول كل ما أخبرته به منذ دخل الى المكتب، وليس فقط الجزء الذي كشفت عنه الآن فقط.

«يبدو لي أنني عاملتك بطريقة سيئة جداً» قال من فوق كتفها. عندئذ ما قاله لاحقاً بعد وقفة قصيرة، جعل جسمها يتجمد. «أعتقد أن الشيء الوحيد المحتشم الذي أستطيع القيام به هو أن اتزوجك».

«تتزوجني!» تعجبت مشدوهة، بدون أن تزعم أن فكرة الزواج به كانت كافية لاعطائها كابوساً صارخاً. «يا الهي!» تعجبت، وأخذت تدور، «أنت لست مضطراً للزواج مني فقط لأنك جعلتني معلقة على وتد مثل متسكعة والآن اكتشفت أنني لست كذلك!» كانت مذهولة تماماً، فنسيت تماماً النصف الاول من حديثهما.

عينا ثورب تعهدتا نظرة دافئة اعتقدت أنها يجب أن تكون من الغضب لانه لم يكن هناك شيئاً مضحكاً في هذا الوضع، وعلى أي حال، لم يعرف كيف يضحك.

«بكل تأكيد أنت لا تنسين ما قمنا به الليلة الماضية؟» سأل، مراقباً عندما غمر اللون وجهها عندما تذكرت ماذا أخبرته. «أنا لن يكون لدي طفل مني يولد غير شرعي» أخبرها بخشونة.

«أنا . . . أنا قد لا اكون حاملاً» قالت. مستحيل أن تتراجع الآن وتقول أنه لم يلمسها اذا لم تكن تريد أن تبدو حمقاء كاذبة.

«لكن مما اخبرتني اياه أنت يمكن أن تكوني» تدخل. «مما اخبرتني اياه عن حاجتك للخبرة في ذلك الميدان فلا حاجة للقول بأنك لم تكوني مستعدة كيلا تحملي».

«حسنا . . . علينا أن ننتظر ونرى» قالت، والذي، فكرت، أنها تركته معلقاً في الهواء.

«لا، يا جانيس، لا أعتقد هكذا!» كان عقله قد صمم، بواسطة النظرة اليه. «انني أشعر بما فيه الكفاية كأن ذلك بدون علم قد أخذ براءتك الليلة الماضية. إنه ليؤسفني دائماً بأنني وربما كنت أكثر خشونة معك في حالتي السكيرة مما لو كنت عكس ذلك. وأنا بكل تأكيد لا أقصد بأنه يتوجب عليك أن لا يكون لديك دعمي سواء كنت او لم تكوني حاملاً في النتيجة. لا» قال، وهي تستطيع أن تقول أنه لا جدال معه، «نحن سنتزوج بدون تأخير».

«أنا لا اريد أن . . .» «اتزوجك»، بدأت لتقول، لكن صوتها أحدث ازيزاً عندما نظرة واحدة منه كانت كل ما يلزم بأن الاقتناع يزداد لدرجة أنه سيبقيها هناك طول النهار حتى توافق. كانت تزداد تشويشاً، وعيناها تركتا عينيه لتستوعبا ذقنه العنيدة. ثورب كنغمان ليس بالرجل الذي يخضع بسهولة، واكثر من أي شيء في تلك اللحظة تحتاج لتكون وحيدة.

«سأتزوجك» سمعت نفسها تقول، «لكن ليس مباشرة. أنا . . . أنا

بحاجة الى وقت للتفكير».

لم تستطع أن تقول أنها هي التي جلبت ذلك على نفسها. فكرت أنها كانت ذكية جداً. لكن صوفي حذرتها، وتجاهلت تحذيرها.

«نحن سنحتاج الى التحدث حول المزيد» وافق، عندما لم تفكر بأنه سيفعل. شعرت جانيس بالشحوب، وتعجبت اذا كانت تبدو شاحبة كما شعرت، لكنها لم تفكر أنه قد أخذ ذلك في الحسبان عندما وافق على السماح لها بالذهاب. «من الأفضل أن أعود الى المختبر الآن على اي حال» قال. «اذا عرفت أن ابنة شقيقتي سوف تستغل غيابي لكي تجعل من نفسها انتهاكاً لحرمة الأخلاق مع غاريث».

انتشر الارتياح في اوصالها لأنها كانت أخيراً قادرة على الابتعاد عنه، فانتقلت جانيس الى الباب. وجدت ثورب قبلها هناك، متوقفاً قبل أن يدير قبضة الباب.

«لا تقلقي حول أي شيء» أعلمها. «فقط تذكري أنك الآن مخطوبة لي، وانني سأعتني بك».

عندئذ فتح الباب وهي انطلقت عبره كأنها مسموطة. فكرت أنها سمعت صوت ضحكة خلفها عندما اسرعت تصعد السلم الى غرفتها، لكنها عرفت أن ذلك كان فقط أعصابها المرهقة التي جعلتها تتخيل ذلك. ثورب كنعمان لا يعرف كيف يضحك. وبالاضافة الى ذلك، لا يستطيع أن يعلم أن مجرد فكرة كونها مخطوبة له كانت كافية لاثارة عاصفة في عقلها.

الفصل الثامن

شيء ما صلب ضغط على خدها جعل جانيس تستيقظ من نوم مضني. سحبت يدها بعيداً عن وجهها ورأت خاتم الزمرد الذي اعطاها إياه ثورب.

«أوه يا الهي» أخذت تئن، عندما الذكرى الكاملة صدمتها. لم يعد لديها مزيد من الدموع لكي تبكي، وكان ذلك بدون جدوى الآن عندما كان ذلك الليلة الماضية لكي تستجوب ما جرى لها والذي لم يترك مكاناً للتحفظات. لم تكره ثورب، والحب صنع هراء من الملكية.

لقد طلب منها أن تبقي عينها على صوفي طوال غيابه، وهكذا عليها أن تبقى، لكنها لن ترتدي خاتمه، ليس لها حق في ذلك. لكن قبل أن تستطيع نزعه من اصبعها استعداداً لاعادته في المرة القادمة التي تراه فيها، صوفي بأسلوبها المعتاد اندفعت الى الداخل.

«جان...» بدأت، وتوقفت كالميتة. «أوه، عيناك المسكينتان

متنفختان!» تعاطفت، واقتربت اكثر من السرير. «لا بأس، يا حبيبتي، هو سرعان ما يعود» عندئذ التقطت نظرة لخاتمها، «يا الهي! عندما يقع ثورب العجوز، فهو يقع مع طرقة، أليس كذلك؟».

متنهدة داخلياً، عرفت جانسيس أن الخاتم يجب أن يبقى على اصبعها. فقط لم تكن على وشك نزعه وعندئذ شرحت كل شيء لصوفي. وعلى أي حال، حيث إنها كانت واثقة أن صوفي لديها فكرة عادلة عن مشاعرها لثورب، فهي فقط لا تجرؤ على المخاطرة بالتبرع لصوفي قبل أن تتمكن من المغادرة.

ثورب لم يكن بالضبط محصناً لها أيضاً، وعليها أن تفكر بعد يومين، وحتى ذلك الحين مشاعرها بالألم كانت تخف مع شعورها بالذنب بأن الورطة الكاملة كانت غلطتها.

مع مرور الايام، متعبة بالعقاب الذاتي لافكارها، خرجت من مزاجها اليائس لكي تشعر بالعداء بتحرك. لم تطلب اليه الحضور الى غرفتها، أليس كذلك؟ ولم تكن الاولى التي قبلت. هو الذي بدأ كل ذلك بتقبيلها.

يومان آخران مرا ومعهما تفجرها بالغضب. ثورب لم يقبلها بلهفة عندما وضع ذلك الخاتم على اصبعها. حاول أن يحنث بالقسم، وأخذت تن، ماذا فعلت سوى التعلق اليه؟.

لقد عاد الغضب بعد يومين، كان هو خطيباً جميلاً! بعيد اكثر من اسبوع وليس هناك اكثر من مخابرة هاتفية. صحيح، فقد قال غاريث أن ثورب كان في منطقة حيث الاتصالات الدولية قد تكون صعبة، ولم يقل مستحيلة، لكن تلك كانت مسألة صغيرة فقط. لم تكن مستعدة لتجد له اعذاراً، حتى ولو أن كلماتها الأخيرة له يمكن أن تكون قد اعطته انطباعاً بأنها لن تكترث اذا هي لم تشاهده ثانية.

ولما اقترب الوقت عندما أي يوم يمكن أن يحضر ثورب الى المنزل، كانت جانسيس مرغمة على مواجهة الواقع بأنها لم تكن خطيبته على اي حال. أوه، هي قد تضع خاتمه، لكن الوقت سيكون قريباً هنا عندما كل ذلك سينتهي. عاجزة عن تحمل التأرجح لعواطفها، قررت أنه عند أول فرصة هي ستصبح نظيفة.

رغم أن ذلك بدا لها أن كل تفكيرها قد ترك لافكار عن ثورب، ذلك لم يكن صحيحاً تماماً، فقد ادركت بعد اثني عشر يوماً أنه ذهب وهي كانت تتناول الغداء مع صوفي. هي وصوفي أخذتا السيد همنغز معهما عندما ذهبتا مرتين الى القرية. وبالامس أمضت فترة طويلة تتحدث اليه والى السيد همنغز في المطبخ بينما كانت صوفي «تساعد» غاريث في المختبر.

«هل تمانعين في تناول العشاء لوحدك الليلة؟» سألت صوفي.

«هل تفكرين في الخروج؟» سألت جانسيس بحذر. المرء لا يعرف بالنسبة لصوفي.

«نوعاً ما» ظهر وميض في عيني صوفي. «غاريث لديه تجربة يعمل عليها ولا يريد أن يغادر حتى ينتهي منها تماماً. ذلك يعني أنه سيعمل حتى ساعة متأخرة من الليل».

«اذن أنت تتغيبين عن العشاء لكي تذهبي وتساعديه؟».

هزت صوفي رأسها. «في الواقع أنا معيقة اكثر من مساعدة، مع ذلك أن غاريث جنتلمان ليقول هكذا. لا، الشيء هو، حيث أن السيدة همنغز ستعد العشاء الى غاريث على أي حال فقد اقترحت بأن يأتي يتناول العشاء معنا».

كانت جانسيس للحظة محاطة بالغموض، عندئذ فكرت أن نور النهار يأتي. «هل تعنين أن أتناول العشاء في غرفتي ـ وهكذا أنت وغاريث

يمكنكما أن تتعشيا لوحدكما؟».

«لا» قالت صوفي، ضاحكة: «يقول غاريث أنه لا يستطيع أن يترك تجربته وينوي أن يمضغ وهو يعمل. وهكذا فكرت أنه حيث الطاولة الصغيرة في المختبر ستحضر لشخص واحد، فقد يمكن تحضيرها لشخصين».

«وماذا يفكر غاريث حول ذلك؟» سألت جانيس، عاجزة عن كبت تكشيرة. عندما تسعى صوفي وراء شيء ما، عندئذ ليساعد الله الضحية المسكينة!.

«هو لا يدري بعد» قالت صوفي بسعادة. عندئذ بتفكير، «اذا كنت لا تمانعين، افكر بأن أخبره بأنني كنت وحيدة حيث أنك أصبت بنوبة عسر هضم مفاجئة وذهبت الى الفراش بدون عشاء، بالاضافة الى قرص منوم».

كان ذلك يوم الاثنين القادم قبل أن يعود ثورب بعد غياب حوالي ثلاثة اسابيع. صوفي، حيث إنها لم تكن تظهر في أي مكان مع غاريث، غيرت الآن تكتيكاتها وكانت تمارس كل كيت وتلعب ذلك ببرود خرجت هي وجانيس في مشوار، ومع أن الطريق الذي سلكتاه لا يلمس المختبر، فقد اقترحت صوفي أنه يتوجب عليهما أن تلتفا حول تلك الطريق ثانية بحجة أن غاريث قد يكون مراقباً، وسيرى عندما هي لا تدخل بأنها كانت تتجاهله. هما كانتا تتجاوزان المختبر عندما طلبت منها صوفي أن تنظر الى النوافذ لترى اذا كان غاريث يراقب، فرأت جانيس، مع ضربات قلب متسارعة، ليس غاريث، بل ثورب.

«لقد عاد ثورب!» صرخت صوفي، اذ كان عليها أن تنظر الى النوافذ رغماً عنها، وناسية للحظة أن عودته يمكن أن تحدد اذا هي ثانية قد قررت تغيير التكتيكات. عندئذ، كأنها توقعت بأن تكون جانيس خلفها

مباشرة، انعطفت باتجاه باب المختبر.

التفتت عند الباب لترى أن جانيس لم تتحرك. «ألا تدخلين؟» هزت جانيس رأسها. فقط رؤية ثورب، وخططها حول ماذا ستقول له أصبحا معقدين. هي بحاجة الى وقت لكي تتمالك نفسها قبل أن تخبره أي شيء. «مسكينة جانيس» أطلقت صوفي تكشيرة تعاطف. «أنت لن تكوني خجولة هكذا معه بعد أن تتزوجا!».

اسرعت جانيس الى الداخل، متمنية لو تستطيع أن تكون من جديد الطفلة التي نادراً ما تبكي. «بعد أن تتزوجا!» فكرت، وكانت تقاوم الدموع ثانية. لن تكون هناك فرصة للزواج من ثورب حالما تخبره كل شيء.

في طريقها الى غرفتها خطر لها أن صوفي كانت ملزمة لكي تخبر ثورب أنها كانت مدركة لوجوده في المنزل، لأنه كان في حديث مع غاريث ولم يشاهدها. ألا يتوقع منه أن يأتي بحثاً عنها؟ ألا يفترض به أن يترك المختبر ليأتي ويقول هاللو؟ خطواتها توقفت. هو حتى قد يركب رأسه ليفتش عنها في غرفة نومها اذا لم يستطع ان يجدها في الطابق السفلي.

استدارت بسرعة واتجهت الى غرفة الاستقبال. اذا كان افتراضها صحيحاً وهو جاء للبحث عنها، فهي لا تريد أي حديث معه في غرفة نومها. لقد كان هناك هي شاهدته لآخر مرة، وهناك في كربها اخبرته بأنها تكرهه.

«أوه، هاللو» قالت، عندما لم يظهر على ثورب بأنه سيقترب. ولكل آلامها شعرت بكل الانواع للبلهاء. أي نوع من التحية كانت تلك، بالله عليك! «هل امضيت ـ رحلة جيدة؟».

«مرضية للغاية» قال، وفقط سماع صوته بعد غياب اكثر من اسبوعين

كان اشبه بالموسيقى في اذنيها.

كان يراقبها بحذر، عرفت ذلك. لم تفتقد أن عينيه قد ذهبتا الى يدها اليسرى لكي تشاهدا اذا كانت ترتدي خاتمه. لقد ذكرها، مع أنها احتاجت الى القليل من التذكير، حيث ان ذلك كان تفكيرها الدائم منذ أن سافر، بما يتوجب عليها أن تقوم به.

«هل تمكنت من ـ تصنيف المشكلة؟» سألت، وبدا صوتها متهدجاً في اذنيها، الله يعلم ماذا كان ثورب يصنع من ذلك.

«نعم» قال باختصار، بدون أن يشرح التقنيات التي لن تعني لها شيئاً على اي حال. «ماذا عنك؟» سألها ببطء، وهي عرفت عندئذ أنه أبصر أنها كانت كثيرة القفز كالقطة. «هل لديك مشاكل، يا جانيس؟».

«لا،» قالت، واخذت تئن داخلياً لدرجة أنها لم تكن اكثر سفسطائية عندما عدلت ذلك. «اعني نعم، لكن ـ لكنك فقط وصلت لتوك ومشاكلي يمكنها أن تنتظر».

جبانة، نعتت نفسها. اوه يا الهي، أية جبانة صفراء مخططة هي كانت! لا جدوى من القول أنها كانت هكذا جبانة اذا لم تحبه. يا الهي العزيز، هو كان الجواب لكل صلواتها، واحلامها، وآمالها، وكانت ستخبره شيئاً ما الذي سيجعل كل آمالها بالزواج منه قد تتحول الى لا شيء.

شاهدته يتردد كأنه واثق بأنه لا يريد أن يعرف ما هي مشاكلها وعندئذ عندما استدار وفكرت أنه كان على وشك أن يغادر، كان ذلك كأن الحالة التي كانت فيها اعصابها قد جعلته ضد حكمه الافضل لتغيير عقله، لأنه استدار ثانية ليواجهها.

«من الأفضل أن تخبريني ما الذي يقلقك» قال باختصار، نغمته ليست مشجعة.

«يمكنه أن ينتظر» قالت جانيس. سيسلخها حية بلسانه اذا هي أخبرته وهو في هذا المزاج، فكرت، وكل عزمها باعلامه عند اول فرصة اختفى سريعاً.

«تفوهي، يا جانيس» اخبرها بخشونة. «أنا لدي عمل لأقوم به».

««أنا لا أستطيع الزواج منك» غادرتها الكلمات بدون احساس.

وضع ثورب مزيداً من المسافة بينهما وذهب ليحدق من النافذة، يداه في جيوبه.

«أنت تعتقدين أنك ما زلت تكرهينني لأنني جعلتك تشعرين كامرأة» قال بفظاظة.

«لا» خرجت منها قبل أن تستطيع ايقافها، وبشرتها كانت متوردة عندما التفت لينظر اليها. «أنا... أنت... حسناً، لا علاقة لهما بذلك».

«اذن» تشدق، عيناه ثابتتان على وجهها، «السبب في انك لا تستطيعين الزواج مني ليس لأن مضاجعتي لك قد أهانتك؟».

«لا،» تمتمت، وخفضت رأسها.

«في تلك الحالة اعتقد أننا نتطلق الى بداية طائرة، أليس كذلك؟».

«نعم... لا».

«نحن يمكن أن يكون لدينا زواج جيد، يا جانيس. أنا أعرف أنك قد اصبت برضوض بتلك العلاقة الأخرى التي كانت لديك وأنا استطيع أن افهم عصبيتك» حاولت أن تبقي وجهها ساكناً، واسبابها بقولها أنها لا تستطيع الزواج منه لا علاقة لها مع شيء. «لكن أنت وأنا كلانا نتمسك بنفس النظريات عن الاخلاص. أنا لن اخذلك. ثقي بي، أنا...»

«أوه، لكنني أثق بك» ابتعد عنها. «لكن...»

«لكنك لست واثقة من هذه الخطوة التي نوشك أن نتخذها؟» ابتسم ثانية، هذه المرة بتشجيع. «لن تكون لديك مخاوف، يا عزيزتي»، قال،

وكلمة «عزيزتي» جعلتها لا تخاف من أي شيء ما عدا أنها كانت ستذوب في كومة عند قدميه اذا هو تابع بهذه الطريقة اللطيفة. «أنا أعلم أن هذا الزواج هو حق لنا».

«ربما قد يساعدك أن تدركي كم هو مهم زواجنا بالنسبة لي اذا أخبرتك...» توقف كأنه يقوم ببحث غير عادي للكلمات الصحيحة، وشعرت جانيس فجأة كأنها كانت على حافة هاوية.

«هل تعني لأجل... وربث، أنت تريد... تحتاج... لكي تتزوج؟».

«هذا صحيح» اطرق برأسه بهدوء. «انني أحب كثيراً بأن تكوني زوجتي، يا جانيس».

«اوه» قالت، وقلبها، الذي كان قد سقط، التقط الآن ضربته الشاردة ثانية. ما زالت تستطيع أن تتزوجه ان هي رغبت. «لماذا أنا بوجه خاص؟» سألت.

«لماذا ليس أنت؟ أنت جميلة، وذكية، وبالاضافة الى ذلك نحن في منتصف الطريق».

ثورب لديه نفس المشاعر حول الاخلاص مثلها. أخبرها هكذا. الزواج بالنسبة اليه يعني نفس الشيء مثلما يعني بالنسبة اليها. إنه يعني ارتباطاً اجمالياً، وقسماً لن يحنث. أوه يا الهي، أخذت تئن، وفكرت أنها ستصبح مجنونة، وهل كل العرائس يشعرن هكذا؟

كان ذلك حتى يوم الخميس، الامسية التي سبقت حفل زفافها، قبل أن تصل جانيس الى السبب الاساسي لما كان يزعجها في الواقع، خلال الثماني والاربعين ساعة الماضية تصارعت مرات عديدة مع الفكرة بالنسبة للرجل الذي أعلن كم كان بيأس يريدها تلك الليلة. ثورب لم يقبلها مرة منذ تلك الليلة. هل كانت تلك اشارة من رجل بحاجة يائسة لها؟.

أصبح عقلها محاصراً بأفكار هي لا تريدها، لكن يجب أن تواجهها. أوه يا الهي، أخذت تئن. يجب اعلام ثورب، واعلامه قبل الغد. كيف يمكنها أن تذهب اليه في زواج مع تلك الكذبة، التي تحطم الثقة بينهما؟ مع ذلك هل سيتزوجها عندما يعلم؟.

اندفعت صوفي الى داخل الغرفة. «أنا فقط...» توقفت صوفي. «يا جانيس!» تعجبت، وهرعت اليها. «ما الأمر؟ تبدين مخيفة!».

«أنا... أنا يجب أن أرى ثورب» همست جانيس، الحقيقة التي ضربتها عندما تفوهت بالكلمات وهي واعية بدت تعود الى اذنيها.

«ثورب!» تعجبت صوفي مذعورة. «ماذا...».

«يجب أن أراه، يا صوفي» قالت، وعندئذ ادركت أن صوفي كانت تبدو متكدرة، وبذلت جهداً لكي تتمالك نفسها. «لا أستطيع أن أشرح، يا صوفي، لكن يجب أن أراه».

«هل أتصل به لأجلك واطلب اليه المجيء؟» اقترحت، وأحست بحالة طارئة وبدون أن تستجوب حاجة صديقتها لرؤية خطيبها.

«لا!» قالت جانيس بمزيد من الحدة اكثر مما تعني. «أنا سأذهب واراه».

سحبت صوفي احتجاجاً على وشك الخروج من شفتيها. «هل أنت واثقة، يا جان؟ أنت لا تبدين لائقة للقيادة» قالت بارتياب.

«أنا يجب» ارادت أن تكون على طريقتها، وارادت أن تذهب الآن. تريد أن تراه بدون تأخير.

ارتدت كما كانت بالجينز والقميص، وبسرعة تركت السرير، وفتحت خزانة الثياب وقد أعماها للحظة ثوب زفافها. تناولت معطفها الجلدي، ثم خرجت. ولما كانت جانيس قد قضت يومين مع صوفي في منزل والديها، التفتت الى صوفي المنزعجة.

«هل تشرحين لوالديك نيابة عني؟» سألت، وكانت تأمل بأن لا ترى اي شخص في طريق خروجها. كانت رحلتها عاجلة ومع أنها عرفت أنها مدينة لبولا ودان ايلنغتون بتفسير، فقط لا تستطيع مواجهة ذلك.

انعطفت جانيس الى الطريق العام لوايلدفيلدس مانور بعد ثلاثة ارباع الساعة. كان هناك فراغ بداخلها والذي لم تكن له علاقة بحقيقة أنها تغاضت عن تناول العشاء.

تركت السيارة وصعدت الدرجات الحجرية لتقرع الجرس، وصلت بأن يكون ثورب موجوداً. ان عليها أن تراه ولو كان ذلك يعني أن عليها أن تنتظر لساعات. اذا هو أخبرها بأن تضيع عندما يسمع ما عليها أن تقوله فهي فقط لا تدري كيف ستعود الى ليتل برامنغتون.

سمعت وقع أقدام قادمة على طول القاعة. لقد كانت صدمة جديدة أنها رأت بأنها لم تكن السيدة همنغز التي فتحت الباب. ثورب كان واقفاً هناك، كبيراً ومع الضوء خلفه. ما استطاع أن يراه في وجهها هي لا تستطيع أن تقول، لكن من وجهه استطاعت أن تقرأ لا شيء.

«أنا... يجب أن اراك، يا ثورب» بدأت.

«ألا يمكنك الانتظار حتى الصباح؟».

«لا» وافقت، «ذلك لا يمكنه أن ينتظر».

«انني آسف لأسمع ذلك».

«أنا... أنا خدعتك لتطلب مني كي اتزوجك» اعترفت، بدون أن تجرؤ على النظر اليه، وراحتا يديها رطبتين.

«وكيف فعلت ذلك، يا جانسي؟» سألها كأنه وقع في مكيدة. «انني اتذكر بوضوح أنك اخبرتني أن نتائج تلك الليلة عندما نمنا في نفس السرير كانت لا شيء».

روت له جانيس الحقيقة بكل أمانة واخلاص، وكان هو يستمع اليها

باهتمام حتى انتهت.

«والآن أنا لا اريد الزواج منك!» تمتم، وتركها تعلم بأنه ليست هناك طريقة لتقوم بأي شيء آخر. «لقد احببتك وكنت مصمماً على الزواج منك منذ تلك الليلة عندما رأيتني مع ايلين فوربس واخبرتني أنك لا تستطيعين الزواج مني. لقد كنت مترنحاً لأجد انني اريد الزواج منك اكثر من أي شيء في العالم».

تراجعت جانيس، ونظرت بعمق في عينيه. «هل كان ذلك عندما اكتشفت أنك احببتني؟».

اطرق برأسه، عيناه دافئتان على وجهها. «لقد كنت ارتجف الى القلب» قال. «استطيع أن اتذكر الشعور الآن. لقد جلست هناك مع أنفك في الهواء تنظرين بغطرسة باردة، كأن لا شيء على ارض الله سيغير رأيك. والفكرة جاءت من حيث لا أدري. يا الهي، يجب أن تتزوجني... انني احبها».

كانت الاريكة طويلة وعميقة وطولها الكامل استفاد منه ثورب فتحرك معها حتى أصبحت ممددة معه، وجسداهما يضغطان معاً. ونزلت قبلاته على جانب من وجهها.

«ثورب كنغمان» قالت، وحبها له يشع من عينيها، «أعتقد أنك اعظم رجل عرفته» عندئذ جاهدت مع كل ما عرفت لأجل نغمة تغيظه، لأن عواطفهما كانت مشحونة. ثورب أيضاً يجب أنه كان تحت اجهاد رهيب: «سأقابلك في الكنيسة غداً» قالت:

«وفقط في حال لم تعرفني، فسأكون الواحدة التي تسير بين صفوف المقاعد على ذراع زوج شقيقتك».

ضحك كما كانت تأمل. «تعالي، يا حبيبتي، دعينا نحضر معطفك. يمكنك أن تتركي سيارتك هنا حتى نعود من شهر العسل».

شهر العسل... ما أجملها من كلمة! هذه المرة غداً هي ستكون ثانية وحيدة مع ثورب، فقط عندئذ، هي ستكون محتضنة بين ذراعيه.

الكذبة البيضاء
جيسيكا ستيل